أخلاقيات إعلامية في الرؤية النورانية النورسية

د عبد الرحمن عزي

عميد كلية الاتصال بجامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

1. مدخل الدراسة:

تقدم هذه الدراسة مقاربة نظرية قيمية عن أخلاقيات الإعلام (media ethics) بالاستناد إلى قراءة استقرائية في فكر بديع الزمان[1] سعيد النورسي وبالتحديد في أعماله "المشهودة" كليات رسائل النور. ما دفعني إلى الغوص في هذا الفكر الإبداعي "الفريد من نوعه" نظرتي إلى الإعلام بوصفه ظاهرة "قيمية"[2] بالدرجة الأولى وذلك "فيما ينبغي أن يكون" وليس بالضرورة "فيما هو كائن."

ونحسب أن نظريتنا "نظرية الحتمية القيمية الإعلامية"[3] وإسهامات أتباعها قدمت إلماما بينا في هذا الطرح .

---

[1] يذكر النورسي أن أستاذه الملا فتح الله هو من أطلق هذه التسمية مشبها إياه خاصة في مرحلته الأولى (سعيد القديم) ببديع الزمان الهمذاني. أما عن دلالة التسمية فيقول "إن لقب"بديع الزمان" الذي منحته (بضم الميم) مع عدم استحقاقي له، ليس لي وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور، قد قلد (بضم القاف) مؤلفها الظاهر إعارة وأمانة. والآن أعيد ذلك الاسم الأمانة إلى صاحبها الحقيقي."ويضيف" إن الأهمية كلها منحصرة في رسائل النور، المعجزة القرآنية، حتى إن ما كنت أحمله سابقا من اسم "بديع الزمان" هو ملكها، وقد أعيد إليها أيضا. ولا جرم أن رسائل النور ملك القرآن ومعناه." أنظر في ذلك:
بديع الزمان النورسي، سيرة ذاتية: كليات رسائل النور، إعداد و ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة و النشر، استانبول، تركيا، 2008، ص: 81-81.

[2] ورد في د. احمد مختار عمر، أسماء الله الحسنى: دراسة في البنية و الدلالة، عالم الكتب القاهرة، 1997، أن علقمة وابن المسعود اعتبرا "القيم" (بكسر الياء المشددة) من أسماء الله الحسنى في قوله تعالى "الحي القيوم." ص. 73

[3] انظر في ذلك: د. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003، الطبعة الثانية 2009. و/د. عبد الرحمن عزي، الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، الدار التونسية للنشر، 2009

لقد اتجهت الأدبيات الأكاديمية الغربية "السائدة" في المجال إلى الخوض في أخلاقيات الإعلام من مدخل مواثيق الشرف الإعلامية وبالاستناد إلى "مرجعية أصحاب المهنة" باسم "المهنية" وعلى حد المثل "أن أهل مكة أدرى بشعابها" تارة وإلى بعض التنظير ذو الطبيعة "العقلانية البحتة" تارة أخرى. وتتمثل هذه الأخلاقيات في: الموضوعية، الحرية، الإنصاف، الفصل بين الخبر والرأي، الدقة، الصدق، النزاهة، الشمولية، الحياد، احترام خصوصية الفرد، الاستقلالية، المسؤولية، الجدية، الاحتشام... الخ.وذهبت بعض هذه الكتابات إلى الحديث عن اتخاذ بعض هذه الأخلاقيات سمة "العالمية والمهنية المشروعة" وذلك ما يثير الجدل على اعتبار أن أي مرجعية حضارية وحتى سياسية معينة تحمل تصورا خاصا[1] بالمعايير الأخلاقية التي يتعين أن تحكم سلوك الإنسان ومن ذلك الممارس الإعلامي.

وتكون هذه الأدبيات قد استنفذت "الجانب العقلاني" في تنمية أخلاقيات الإعلام و اتجهت أكثر نحو بعض التفاصيل التي يفرضها واقع الممارسة الإعلامية في شكل دراسة حالات (case studies) ونجد أن عددا من هذه الأدبيات يكادا يكون مغرما بمسألة "الحالات"، على الأرجح اعتقادا بأن الجديد يأتي على مستوى الحقيقة الإمبريقية ويتقيد بها أيضا، فكل حالة من قضايا "القذف" مثلا تحيل إلى سابقتها ويفصل أمرها بالرجوع إلى مرجعية القضاء الذي يتمتع "بالاستقلالية" في تلك النظرة.

[1] حاول "داني إليوت" الحديث عن عالمية بعض الأخلاقيات و ذكر ما أورده بعض الفلاسفة مثل كيرت مثلا من أن " الشر يتضمن الموت، الألم، الإعاقة، فقدان الحرية و فقدان اللذة..." و الحاصل أننا لو دققنا النظر في ذلك من زاوية الرؤية النورسية لوجدنا أن تلك القائمة مثل الموت و الألم و الإعاقة ليست شرا، ولكن حقا و قدرا و ابتلاء. فالألم يمكن أن يحس به أي مريض في أي ثقافة و لكن نظرة الفرد إلى الألم تختلف من سياق لآخر. وعن تلك المحاولات الخاصة بالحديث عن الأخلاقيات و فكرة العالمية المذكورة انظر:

Deni Elliot, "Universal Values and Moral Development Theories," in Clifford Christians and Michael Traber, Communication Ethics and Universal Values, SAGE Publication, London, 1997, 68-82.

دأبت بعض المؤسسات الإعلامية مثل صحيفة "لومند" (Le Monde) الفرنسية على وضع دليل مفصل عن سلوكيات الصحفي بما في ذلك الامتناع عن التغطية الإعلامية عند تعارض المصالح[1] وعدم قبول الهدايا إذا تجاوزت القيمة الرمزية المحددة... الخ.

وفي نظرنا، فلا نتوقع جديدا – فكريا ونظريا – من هذه الأدبيات طالما أنها تتحرك في دائرة الواقع الإمبريقي (المحلي الخاص بالسياق الغربي) ولا تذهب،عندما تخرج عن تلك الدائرة،أبعد من بعض التنظير المنطقي البحت. ونحسب أن الجانب "الفلسفي" و"الفكري" في مسألة أخلاقيات الإعلام لم يستطع أن يتجاوز بعض نصوص فلاسفة التنوير (القرنان السابع والثامن عشر ميلادي) مثل تلك الوثيقة التاريخية "المهمة" التي كتبها جون استوارت ميل بعنوان "عن الحرية" (On Liberty) وفيها تحدث عن المرجعية الفلسفية التي ولدت ما أصبح يعرف بحرية التعبير وحرية الصحافة، أو بعض الوثائق الحديثة نسبيا والأقل وزنا بالمقارنة مثل المبادئ الخمسة الذي تبنتها ما أصبح يعرف بنظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام.[2]

أما الأدبيات الأكاديمية في المجال باللغة العربية فمحدودة ووصفية استعراضية حول مواثيق الشرف المحلية والغربية دون مساءلة طبيعة هذه الأخيرة إن في المرجعية أومن خلال الأداء.

أدى هذا الفراغ في المرجعية إلى تذبذب دلالة تلك "السمات" الموصوفة ضمن الأخلاقيات وعدم الفعالية الملحوظة بحيث كثيرا ما تحولت إلى مجرد "حبر على ورق" بفعل ذلك من جهة أخرى.[3]

[1] كأن يملك الصحفي أسهما في المؤسسة التي يقوم بتغطية نشاطها.

[2] انظر دراستنا: د. عبد الرحمن عزي، "الحق في الإعلام و الاتصال و إبستمولوجية حرية التفكير و حرية التعبير،" في عدد من الباحثين، حق الاتصال و ارتباطه بمفهوم الحرية و الديمقراطية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1994.

[3] تعددت أسباب ذلك الإخفاق، و ما يهمنا اهتزاز بنية المعنى في تلك المفردات.

إن هذه الأدبيات على وجه العموم استثنت بشكل كبير مرجعية الدين (وفيما يخصنا النص القرآني والسنة النبوية وفكر التابعين) الذي يعتبر المنبع الأساس في فهم دلالة الأخلاقيات أيا كانت طبيعة المهنة، على اعتبار ومثلما أشرنا إلى ذلك في دراسات سابقة،[1] فإن الإنسان ليس مصدر القيمة وإنما تجسيدا لها، وذلك ما يمكن قراءته حتى في بعض الأدبيات المسيحية عندما تذكر أنه "في البداية كانت الكلمة." يضاف إلى ذلك تعذر فهم مغزى الأخلاقيات فهما دقيقا موسوعيا دون اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم. وذلك ما سنركز عليه في محاولة استقراء منهج النورسي في ربط أسماء الله الحسنى ببعض التجليات التي يتعين أن تحضر في الممارسة الإنسانية ومن ذلك ما يخصنا في الممارسة الإعلامية. ويتضح هذا الطرح مثلا في تعبير "الأخلاقيات" ذاته، إذ أنه في اللغة العربية ثلاث اشتقاقات متماسكة: أ) الخالق سبحانه وتعالى (في ذاته أو صفاته "الأسماء الحسنى"، ب) الخلق (بفتح الخاء) أي المخلوقات ومنها الإنسان المكرم المفضل "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"[2]، ج) الخلق (بضم الخاء)، أي القيم التي تحكم الخلق (بفتح الخاء) بوصفها، بلغة النورسي، تجليات أسماء الخالق الحسنى.

تقوم هذه الدراسة على الجانب الإبداعي في فكر النورسي وبالأخص نظرته النافذة في إظهار تجليات أسماء الله الحسنى في الكون والإنسان. واتخذنا في ذلك منهجا استقرائيا في محاولة ربط تلك التجليات بواقع المرسل (الصحفي أو الداعية) وذلك من زاوية "ظ الإنسان من أسماء الله الحسنى" أخذا بعين الاعتبار النبرة الأدبية البديعية

[1] د. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال...

[2] سورة الإسراء، الآية 70

الاجتهادية في نهج النورسي من جهة والحيطة العلمية الجامحة التي نقرأها عند الغزالي في "المقصد الأسمى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. "[1]

وليست دراستنا عن أسماء الله الحسنى، إذ أن ذلك يخرج عن مجال الاختصاص والقصد، فدراسة أسماء الله الحسنى شأن عظيم لا يقدر عليه إلا من أوتي الحكمة وفصل الخطاب أمثال البيهقي والغزالي وابن حجر[2] ومحي الدين بن عربي[3] ...الخ وحتى الغزالى تساءل من "أين للقوى البشرية أن تسلك في صفات الربوبية سبيل البحث والفحص والتفتيش" وذكر أن الله المتفرد بكبريائه وعظمته "لم يجعل السبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته."[4]ويضيف "ومن خالط الخلق جدير بأن يتحامي، لكن من أبصر الحق عسير عليه أن يتعامى. ومن لم يعرف الله عز وجل فالسكوت عليه حتم، ومن عرف الله تعالى فالصمت له حزم، ولذلك قيل: من عرف الله تعالى كل (بفتح الكاف المشددة) لسانه.[5] ولم يمنعه هذا الاحتراز الوافي من تخصيص فصل في "بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور (بضم الياء) في حقه."[6] وبين الغزالي حظوظ المقربين من أسماء الله الحسنى أولا "بمعرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة..." وثانيا "باستعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث، من الاستعظام، يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات..." وثالثا "بالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانيا، أي

[1] الغزالي، أبو حامد، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

[2] عن إسهامات هؤلاء في تصنيف أسماء الله الحسنى، انظر:

د. أحمد مختار عمر، ص. 104-108

[3] له قصيدة عن أسماء الله الحسنى في في ستة و ثمانين بيتا.

[4] أبو حامد الغزالي، ص. 19.

[5] ن، م، س، ص. 20

[6] ن، م، س، ص. 45.

قريبا من الرب تعالى..."[1] وليس في هذا الأمر مشابهة أو مماثلة "فمعلوم شرعا وعقلا أن الله، سبحانه وتعالى، ليس كمثله شيء، وأنه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء." ويضيف "فأقول: مهما عرفت معنى المماثلة المنفية عن الله، عز وجل، عرفت أنه لا مثيل له، ولا ينبغي أن يظن أن المشاركة في كل وصف توجب المماثلة،" ومثلما يقال "لا يعرف الله إلا الله."[2]

تقوم مقاربتنا على إبراز "نظرية" النورسي في كشف بعض تجليات عدد من أسماء الله الحسنى والدفع بتلك النظرية إلى مجال أخلاقيات الإعلام ساعيا إلى تمكين المرسل من التأمل في حظه من تلك الأسماء وتجلياتها والانطلاق منها، وليس بدونها، في إنارة تفاصيل ممارسته الإعلامية بما يرقي بأدائه إلى القيمة وليس بما يحيد به أو يدفعه إلى منطق الهوى. وليس في هذا النهج تعارض مع تلك الأخلاقيات القائمة "المفصولة" التي يمكن إعادة تشكيل البعض منها بما يدخلها ضمن الأخلاقيات "الموصولة."والأمر الأهم استحضار دلالة تلك الأسماء، التي بين النورسي طاقتها الخلاقة في إعادة تشكيل رؤية الإنسان للكون والمحيط، في أداء المهمة الإعلامية "النبيلة" بوصف الإنسان خليفة الله في الأرض وأداة تجسيد آياته وتوصيل رسالته... وبتعبير آخر، فإن إدراك سؤال "لماذا" يمثل المدخل نحو تفاصيل الممارسة، أي "كيف؟"

2. النورسي: "غاندي المسلمين" في زمن الانحصار الحضاري.

يمكن اعتبار بديع الزمان سعيد النورسي فيلسوف إصلاح و"أديبا ناقدا من الطراز الأول."[3] ويسميه البعض "بالفيلسوف المتصوف."[4]

---

[1] ن، م، س، ص. 45-46.

[2] ن، م، س، ص. 48-49

[3] د. حسن الأمراني، النورسي أديب الإنسانية، دار النيل، استانبول، تركيا، 2005، ص. 108.

[4] زياد الدغامين، "مظاهر تكريم الإنسان في البيان القرآني: قراءة في فكر النورسي،" دراسات، العدد 29، 2002، ص 25.

انبعث فكر النورسي في مرحلة التراجع الحضاري بتركيا والمنطقة الإسلامية أواخر السلطنة العثمانية. وتزامن هذا التقهقر المتدحرج (الذي يذكرنا بمفهوم "الرجل المريض") مع بروز بريق الحضارة الغربية من جهة أخرى.

يجمع النورسي سمات العديد من المفكرين المسلمين المعاصرين الذين واجهوا هذه المعادلة الثنائية (الأنا والآخر) من أمثال محمد إقبال، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، عبد الحميد بن باديس، الطاهر بن عاشور، شكيب أرسلان، مالك بن نبي ..الخ. فأدبه "وإشعاعاته" يحمل جزئيا حيوية أدب إقبال، ودعوته إلى إعادة قراءة الموروث القرآني والتاريخي برؤية دينامية تفاؤلية ومستقبلية تقربه من دعاة الحركة الإصلاحية،واعتماده على النواميس الإيمانية "الخفية" في تفسير حركة التاريخ تجعله من صنف ابن نبي. ويتميز النورسي، بالإضافة إلى ذلك بتأملات صوفية إنسانية ترقي بتحليله إلى مستويات جمالية وفنية راقية وتذكرنا بصوفية[1] الغزالي (أبو حامد). وليست هذه النزعة الصوفية "انعزالية" وإنما "تأملية" نتيجة ممارسة سياسية حقيقية دفعته في المرحلة الأولى (مرحلة سعيد القديم) إلى ساحة المواجهة مع تيارات "سياسية" تغريبية بحكمة بالغة أكسبته "التقدير العالي" من القاصي والداني وذلك في فترة تآكل السلطنة العثمانية وبروز التيارات "الأيديولوجية" الجارفة الداعية إلى فصل ما تبقى من هيبة الخلافة العثمانية عن الجذور الإيمانية (أي الدين). يمكن اعتبار النورسي في علاقته بالحقل السياسي وأسلوبه السلمي القائم على "اللاعنف" بـ"غاندي المسلمين،" أو

[1] ذكر زياد الدغامين مأخذا عن تلك النزعة الصوفية في وصف الرسول (ص) "الشخص النوراني": "لقد أراد النورسي بهذا الكلام أن يوظف كل معارفه الصوفية الإشراقية و الكلامية و الفلسفية في تصوير أهمية النبوة و قيمتها في الحياة الانسانية، ويخص نبوة محمد (ص) بالذكر لأهميتها في هذه المرحلة من حياة الانسان، وهذا حق لا مرية فيه، و لكن يعكر صفو كلام النورسي وصفه محمدا (ص) ب "الشخص النوراني" وأنه لو لم يبعث لسقطت الكائنات في بحر العدم و الظلام، هذا الكلام مرتكز على عقيدة صوفية تنص على أولية النور المحمدي، أي قدم الحقيقة المحمدية، والنورسي وإن لم يقل بهذه العقيدة لكنه – على الأقل – متأثر باصطلاحات المتصوفة الإشراقيين." انظر في ذلك زياد عيادين، ص. 30.

"لوثر[1] المسلمين،" إلا أن إخفاق "التجربة الإصلاحية والنهضوية" في تلك الفترة وعدم توفر كتابات النورسي خارج محيط تركيا الحديثة إلى حين ألقى بضلاله ولأمر مقدور على هذه العبقرية الفذة في تاريخ الفكر الحضاري المعاصر.[2]

يقوم منهج النورسي على بيان الأنوارالتي يحملها النص القرآني بوصفه كتابا كونيا يعلو و لا يعلى عليه، و ينتقل من ذلك إلى إظهار آيات الله و بديع صنعه في الكون والإنسان، ويربط ذلك كله بحال الأمة وأزمتها الحضارية التي ربما لمسها بشكل مصغر في محنته التي أخذته إلى دهاليز السجن وظلمات المنفى دهرا من الزمن، كما يتبين ذلك بالتفصيل في سيرته.[3]

ويدخل في دوافع ابتغاء هذا السبيل بإصرار ما ورد عن رد فعله عندما قرأ تصريح أحد وزراء المستعمرات الإنجليزي حول القرآن الكريم، إذ مثل هذا التصريح "انقلابا فكريا" جعله يسخر حياته بعدئذ "في خدمة القرآن والإيمان." وجاء في تصريح الوزير المذكور "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا، فلنسع إلى نزعه منهم." ومثل هذا الإعلان نقطة تحول في مسار حياته إذ حمل عبء الرد على هذا

[1] مارتن لوثر، زعيم حركة السود بأمريكا المطالبة بالحقوق و المساواة في ستينيات القرن الماضي.

[2] يلخص أ. إحسان قاسم الصالحي حياة بديع الزمان سعيد النورسي على النحو التالي: "ولد في مطلع القرن الهجري الماضي سنة 1293 هجري (1876) ميلادي في عهد عبد الحميد الثاني، وجاهد الروس في الحرب العالمية الأولى.. وعاصر حرب الاستقلال.. وشاهد المنعطف الخطير الذي بدأ منذ 1923 حيث وضعت قوانين لإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.. انصرف كليا إلى تدبر معاني القرآن الكريم .. أخذته الأقدار نفيا من مدينة إلى أخرى .. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبه معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. تلك هي المائة و الثلاثون رسالة في بيان حقائق القرآن و التي أطلق عليها اسم "رسائل النور" .. تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر. توفه الله سنة 1960 و دفن في مدينة أورفة. ثم نبشت السلطات... آنذاك قبره وأخذ جثمانه إلى مكان مجهول... انظر في هذا الشأن:

أ. إحسان قاسم الصالحي، "حالة وحدة المسلمين الراهنة وجهود النورسي العملية في إقامتها،" ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي حول "وحدة الأمة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين: فرص وتحديات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1-2 أكتوبر 2003.

[3] بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية...

التحدي بالتوجه نحو القرآن الكريم، أو مثلما قال "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها و لا يمكن إطفاء نورها."[1]

وتذكر المصادر المتعددة ومن ذلك سيرته الذاتية أنه مر في رحلته الإيمانية والاجتماعية السياسية بمراحل متعددة، مرحلة سعيد القديم ثم مرحلة سعيد الجديد ثم ربما مرحلة سعيد الأخير (التي تكون قد حوت التجارب السابقة مجتمعة). وأيا كان، فبدايته كانت الاحتكاك "المباشر"[2] مع العملية السياسية في تركيا بوصفه "عنصرا مستقلا" يقف "سلميا" في وجه انسلاخ تركيا عن المرجعية الإيمانية والذوبان التدريجي في حظيرة الحضارة المادية التي يعتبرها "منحلة ومتسلطة." ويبدو أنه سرعان ما اكتشف "مكر" السياسة الذي يمكن أن يبعده عن المغزى الأسمى من دعوته[3] إلى تغيير الواقع من خلال تغيير ما بالأنفس، و ورد عنه أنه قال في ذلك "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة."[4] أما في الفترة الثانية، فقد توجه بالأساس إلى إبراز نور القرآن الكريم من خلال الاعتكاف على الكتابة وتسجيل مكاشفاته الإيمانية خاصة وأن الجزء الأكبر من حياته في هذه المرحلة كان في السجن والمنفى،مما نمى في نفسه نزعة صوفية تأملية عميقة امتزجت في ثناياها الوحدة وتضاريس الجغرافية الخلابة في محيطه و الأمل الخالص

[1] ن، م، س ص 82

[2] للإطلاع على الجانب السياسي إن صح هذا التعبير في حياة النورسي، انظر
حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان النورسي و أثره في الفكر و الدعوة، كتاب إلكتروني، 1420.

[3] يشرح محمد سعيد البوطي أن النورسي التزم الحياد السياسي شأن الداعي إلى الله على وجه العموم فيقول في سياق الحديث عن النورسي "إن الشأن في منبر الدعوة إلى الله والتبليغ عن الله، أن يطل على الناس كلهم بشتى فئاتهم ومشاربهم ومستوياتهم، من مستوى واحد، وأن تتجه إشعاعات الدعوة إليهم جميعا بموضوعية تامة، ودون أي تحيز أو مصانعة لفئات دون أخرى= =منهم، ومعنى هذا أن الداعي إلى الله يجب أت يتسم بالحياد التام، وأن يكون شأنه مع الناس جميعا كشأن القاضي مع الخصوم الذين يحدقون به. فهو يخاطب الحكام والقادة، كما يخاطب الدهماء والعامة، كما يخاطب الموسرين والمترفين، كما يخاطب الفقراء والمساكين، أي بقدر متساو من الغيرة عليهم و الحب لهم و الاهتمام بمصيرهم." انظر في هذا الشأن:
د. محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، دار الفكر، دمشق، 2006، ص. 168.

[4] حسن عبد الرحمن بكير ، ص. 216.

في الله تعالى المحيي المميت. يقول في هذا التقلب أن سلك سلوك الباحث عن سر المقولة "تفكر ساعة خير من عبادة سنة" ويذكر في سياق مشابه أن من أقصر السبل إلى الله سبحانه تعالى "التفكر" الذي "يوصل السالك إلى اسم الله الحكيم"ولعل النورسي لم يكن الوحيد في معايشة هذه التجربة الإيمانية، ومن الصدف العجيبة ربما، أن انشغاله بتجليات أسماء الله الحسنى حدث في فترته "الصوفية" تماما مثلما حدث في شأن الغزالي الذي كتب مؤلفه[1] عن أسماء الله الحسنى بعد التزامه طريق التصوف.[2]

بقي النورسي منشغلا بقضايا الأمة بشكل مستمر بمحاولة تكوين الفرد الواعي الذي لا تسحبه الغفلة بعيدا عن الله تعالى وتشخيص الأمراض التي أصابت الخلافة العثمانية والأمة في زمن الانحدار الحضاري. ويدخل ضمن"الأمراض"التي تمس الأمة في نظره (والتي ساهمت بعد رحيل النورسي في تمزيق أواصر الأخوة في بلاد المسلمين) الحمية الملية، أي التعصب نحو قومية ما[3]، بما يتنافى مع الانتماء إلى المنظومة الإيمانية الأعلى، أي الحمية الإيمانية، ويري أن الحمية الإيمانية تستوعب الحمية الملية وليس العكس، "فلا بد أن تكون الحمية الدينية أساسا في الحقوق العامة، وتكون الملية خادمة منقادة لها وساندة حصينة لها." فالحمية الدينية، و بالنظر إلى القدر الإلهي الذي جعل الشرق مبعث الأنبياء" فإنها، ممثلة في الشعور الديني، هي التي "يمكن أن

[1] أورد بسام عبد الوهاب الجابي في مقدمة كتاب الغزالي، أبو حامد ، المقصد الاسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أن الكتاب المذكور "ألف (بضم الألف) بعد مرحلة التزامه (أي الغزالي) طريق الصوفية. فهو يحيل فيه إلى كتابه "الإحياء" كما أنه يحيل في كتابه "المنقذ من الضلال" إلى كتابه "المقصد الاسنى" و بالتالي يمكن تعيين زمن تأليف "المقصد" بأنه ألف (بضم الألف) بعد "الإحياء" و قبل "المنقذ."

[2] و حسبي أنني أشعر ببعض التصوف و أنا أقوم بهذه الدراسة

[3] يذكر عبد الحليم عويس أن النورسي يرفض "كل الآداب المنطلقة من رؤية مادية، أو عنصرية قومية، أو وطنية محدودة، أو إلحادية فوضوية، أو وجودية عبثية دنيوية... فكل هذه النعرات الأدبية تعكس رؤية رافضة للنظام الكوني الذي تشهد كل جزئياته – بلسان الحال و المقال – بوحدانية الله الخالق و قدرته و سمو أسمائه الحسنى و تجلياتها." انظر، د. عبد الحليم عويس، رجل القرآن و صناعة الانسان، ، دار النيل، استانبول، 2009، ، ص. 154

تستنهض الشرق وتسوقه إلى التقدم والرقي."[1] ويبدي النورسي اطلاعا واسعا بالفلسفة الغربية، ويظهر في هذا السياق، خواء تلك النزعات المادية[2] التي قلصت الإنسان إلى مستوى الدوافع الغرائزية الدونية، غير أنه ترك في النهاية هذا النهج (أي التعامل مع الفلسفة الغربية) واتجه صوبا ودون غير ذلك نحو بيان الأنوار الإلهية في النص القرآني.

تتجاوز نظرة النورسي المنطقة الإسلامية على اعتبار أن الرسالة الإيمانية عالمية بالأساس ،فيبدى النورسي تسامحا كبيرا مع الآخر إن من المسلمين أو غيرهم إذ يقول "عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: إن مسلكي حق أو هو أفضل. ولكن لا يجوز لك أن تقول:إن الحق هو مسلكي أنا فحسب،" بمعنى أن "تقصر الحق في مسلكك، فهناك مسالك أخرى أيضا لهم من الحق نصيب."[3]

3. الأسس المعرفية المتعالية[4] و المتجلية في فكر النورسي

إن نظرة النورسي للتاريخ و الكون "كليانية" (macro analysis) وقد ورد عنه قوله "لقد أصبح ما يقرب من تسعين كتابا حفظته مدارج للصعود إلى حقائق القرآن الكريم، ولما بلغت تلك الحقائق شاهدت أن كل آية كريمة تحيط بالكون وتستوعبه. فقد كفاني القرآن الكريم من مراجعة أي شيء آخر."[5] فالقرآن الكريم عند النورسي "هو المبتدأ و الختام."[6] ويصف القرآن في موقع آخر بأنه ذلك "الكلي ذي الجزئيات،"[7] ويراه في سياق آخر أنه (أي القرآن الكريم) "يذكر الأشياء الكونية للاستدلال على

---

[1] ن، م، س، ص. 136

[2] Bediuzzaman Said Nursi, The Words: The Reconstruction of Islamic Belief and Thought, translated by Huseyin Alkarsu, Light, New Jersey, 2005, p. xxi-xxiii

[3] إحسان قاسم الصالحي، "حالة وحدة المسلمين الراهنة ... ، ص. 318

[4] المقصود بذلك المجردة التي قد لا نراها إلا بالرقي إليها، و ذلك ما يقترب من التعبير الإنجليزي (transcendental)

[5] بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص. 82 (في هامش الصفحة)

[6] أ.د. حسن الأمراني، النورسي ...، ص. 50.

[7] بديع الزمان التورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، كليات رسائل النور، دار النيل للطباعة و النشر، القاهرة، 2009، ص. 22.

صفات الخالق جل جلاله..."[1] وقد وصفت (بضم الواو) أعماله، رسائل النور، أنها "كليات ثقافية إسلامية وحدها. وهاتان جملتان من رسائل النور: إن الكرة الأرضية مأمورة وموظفة من لدن الفرد الواحد سبحانه، وهي كالجندي المطيع لله الواحد الأحد فحينما تستلم الأمر الواحد الصادر من آمرها الأحد، تهب منتشية بأمر مولاها وتنغمر في جذبات وظيفتها في شوق عارم، وتدور كالمريد المولوي العاشق – عند قيامه للسماع – فتكون وسيلة لحصول المواسم الأربعة."[2]

نجد في كتابات النورسي مزجا رفيعا بين النظرة الكليانية (macro-analysis) والنظرة المصغرة(micro-analysis)، فهو يبدأ من الكل تارة وينطلق من الآية الكريمة" الله نور السموات والأرض،"[3] فيبحث عن تجليات ذلك النور في جزئيات الكون وأسرار الإنسان بوصفة أحد تجليات أسماء الله، ويبدأ في مستوى آخر من الجزء مستندا إلى الآية "وإن من شيء إلا يسبح بحمده،"[4] فيبحث عن ارتباط تلك الحركة "المصغرة" "المصغرة" بالإرادة الإلهية.بتعبير آخر،فكل شيء يبدأ من الله سبحانه وينتهي إليه.

يقوم منهج النورسي في ذلك على دراسة المجرد في المجسد والانتقال من المجسد إلى المجرد. ولا يتوقف هذا التحليل على الجزئيات بل يرقي من خلالها إلى نطاق أوسع من المعاني، فهو يبصر ما وراء تلك "الأجزاء المتناثرة والوقائع المتضادة والأمور اللامعقولة" ويربطها "بالمعاني الحقيقية لأفعال الله."[5] يرى عبد الحليم عويس أن "إبصار "إبصار الجزئيات وما وراءها معلم من معالم الرؤية الإسلامية للتاريخ. ولعل الجزئية

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري...، ص. 318.

[2] د. عبد الحليم عويس، ص. 166

[3] سورة النور، الآية 35.

[4] سورة، الإسراء الآية 44

[5] بديع الزمان سعيد النورسي، سير ذاتية، ص. 22.

الشديدة والتمزيقية الشائعة في تدوين الأحداث التاريخية وفق النمط التاريخي التقليدي، كان من أبرز الأسباب في تخلف المسلمين في التنظير الاجتماعي والفلسفي للتاريخ" باستثناء القليل مثل ابن خلدون"[1] ولا تبدو هذه الأجزاء "مشتتة" أو"مبعثرة" بل مشدودة وتتماسك وتنتظم بفضل ارتباطها بالواحد الأحد. يقول النورسي"لندع الجزئيات يا صاحبي، ولنتأمل في العالم العجيب ولنشاهد أوضاع أجزائه المتقابلة بعضها مع البعض الآخر ففي هذا العالم البديع من النظام الشامل والانتظام الكامل، كأن كل شيء فاعل مختار، حيث يشرف على نظام المملكة كلها، ويتحرك منسجما مع ذلك النظام العام، حتى ترى الأشياء المتباعدة جدا يسعى الواحد منها نحو الآخر للتعاون والتآزر"[2] ويضيف في السياق نفسه وبالاستناد إلى اسم الله تعالى "الفرد،" "إن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود، إن لم يكن زمام جميع العناصر بيده لا يستطيع أن يسيطر على ذلك العنصر الواحد أيضا. إذن "فالتعاون" و"التساند" والتجاوب" و"التعانق" الواضحة على أجزاء الكون، إنما هي أختام كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد."[3]

إن نظرة النورسي إلى التاريخ تمكن في إظهار العوامل الخفية الكبرى التي تحرك الحضارة بعيدا عن عين المشاهدة العينية التي عادة ما يتوقف عندها من لا يقدر على النفوذ إلى النواميس الإلهية التي تحكم الكون. ومثلما يشرح ذلك عبد الحليم عويس فإن نظرة النورسي إلى التاريخ لا تخص العوامل الاجتماعية و النفسية المحدودة، ولكن من النوع الذي يحتاج إلى "مساحة زمنية ومكانية تتشابك مع الواقعة موضوع التحليل.."

[1] ن، م، س

[2] ن، م، س، ص. 23

[3] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، استانبول، تركيا، 2007، ص. 485

فهو، أي التاريخ، في نظره ضرب من "الميتافيزيقا" على حد قول مالك بن نبي.[1] ويتميز النورسي عن المؤرخ "النمطي" الذي يكتفي بتدوين الأحداث أو البقاء على مستوى التفاصيل الجزئية، إذ يربط الظاهرة بما هو أرقي ممثلا في السنن التاريخية "المستورة" التي تجسد آيات الله في نشأة الأمم وأفولها، فلكل حضارة أسباب في الرقي وأخرى في الفناء، وكل ذلك مقدور بقدر، وهذا ما يجعل تحليل النورسي في الشأن التاريخي بالذات من صنف فلاسفة التاريخ أمثال ابن خلدون وتوينبي ومالك بن نبي.

يميز النورسي في تفسير حركة التاريخ بين العلية (بكسر اللام المشددة) والستائر (الشواهد الظاهرة)، والأمر يذهب أبعد من مجرد الجدل "الفلسفي" الذي يذكرنا بما دار بين الغزالي (أبو حامد) وابن رشد حول القول "بأن النار تحرق،"[2] ولكن يخص منهجا كليانيا يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية التي من الصعوبة بمكان القبض عليها بالعودة إلى ما يسميه بعض المؤرخين وعلماء الاجتماع بالقوانين التاريخية والاجتماعية فحسب. ويرى النورسي "أن القدير العليم والصانع الحكيم، يظهر قدرته وحكمته، وعدم تدخل المصادفة في أي فعل من أفعاله قطعا، بالنظام والتناسق الذي تظهره عاداته التي هي على صورة القوانين الكونية."[3] وما يبعد عن هذه الحقيقة "الغفلة" التي تتوقف عند الأسباب ولا تنفذ إلى مسبب الأسباب.

إن نهج النورسي يقوم على دراسة "ما وراء الظواهر" واكتشاف السنن الإلهية في حركة الكون والتاريخ و الإنسان. ويتجلى ذلك مثلا في مقاربة المحن والأزمات. فمظاهر "القبح والشر والبلاء قد تدفع إلى السخط والشكوى والامتعاض- فوضعت الأسباب الظاهرة ستارلتصرف القدرة الإلهية لئلا تتوجه تلك الشكاوى الظالمة والسخط

[1] عبد الحليمم عويس، ص. 17

[2] إذ بين الغزالي أن النار مجرد أداة و لست الفاعل ، إذا الفعل بإرادة خالق النار.

[3] بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص. 219

الباطل إلى الحي القيوم جل وعلا." يذكر "أن ملك الموت "عزرائيل" عليه السلام وجد أن مهمة قبض الأرواح التي أوكلت إليه مهمة بغيضة لبني آدم، وسيكون من جرائها موضع سخطهم ومثار امتعاضهم، فناجى رب العزة بشأن مهمته قائلا: يارب إن عبادك سيسخطون علي، فجاءه الجواب: سأضع ستارا لأمراض وحجاب المصائب بين مهمتك وبينهم، فلا تصوب سهام الشكاوى والاعتراضات إليك، بل إلى الحجب."[1]

تندرج رؤية النورسي للتاريخ في نظرته "الكليانية" إلى دراسة تجليات أسماء الله الحسنى في حركة الإنسان و فعل التاريخ. فالإنسان والتاريخ "مرآة" تعكس الفاعل الحقيقي، أي الله سبحانه و تعالى، هذا الإطار المعرفي القرآني ينأى عن التفسيرات المادية وغيرها والتي تفسر الظواهر بمثيلاتها من الظواهر الأخرى. وليس في هذا التحليل قدرية "مطلقة،" ولكن نظرة متجددة إلى الإنسان بوصفه "الخليفة" و"المستخلف" والمأمور بتجسيد أسماء الله الحسنى في عالم الدنيا.

تتضمن أدبيات النورسي خطبته التاريخية التي ألقاها[2] بالمسجد الأموي سنة 1911 والتي أصبحت تعرف بالخطبة الشامية حيث شخص النورسي في تلك الخطبة أمراض الأمة المادية والمعنوية بطريقة ربما تذكرنا بتساؤل شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم. وحصر تلك الأمراض في:

-حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه و بعثه

-موت الصدق في حياتنا الاجتماعية و السياسية

-حب العداوة

-الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، 503

[2] ورد في كتابه سيرة ذاته (ص. 134) أن الخطبة حضرها ما يقارب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام.

-سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة
-حصر الهمة في المنفعة الشخصية[1]

والواقع أن حال الأمة لم يتجاوز بعد تلك البنيات المفككة بل سجل تراجعات أساسية في أكثر من محور، ولكن النورسي و في سياق نهجه النوراني رأي في تلك "المحن" الأمل القائم على "شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها،" على اعتبار أن "الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن و الإيمان."[2]

ما يميز فكر النورسي مفهوما خاص يرد في شكل عبر إيمانية أدبية مترجمة بتعبير "نكتة،" و من دلالتها أن الألم دائما يتبعه الأمل بفعل أن الحركة التاريخية نتاج حكمة إلهية وليست ذاتية الدفع،مثلما يذهب إليه المتحدثون عن القوانين التاريخية أو الاجتماعية البحتة ويمتد تعبير النكتة إلى تلك النظرات الإبداعية الثاقبة التي تقرأ في النص القرآني تجليات فنية و جمالية في أوسع الأفق الخيالية الممكنة وتتحول "النكتة" إلى عبر تاريخية حاسمة خاصة وأن تجربة النورسي غنية بالأحداث والإرهاصات الشخصية العميقة و تمزج "النكتة" عدة أساليب فنية وفكرية قلما نجدها في أي نص آخر من هذا القبيل.

يتنوع أسلوب النورسي في معالجة المشاهد الإيمانية،فرغم حضور النمط الأدبي البياني القيمي في إبداعاته إلا أنه و صف (بضم الواو) على خلاف إقبال، أنه مفكر أكثر منه أديب، و على حد قوله (أي النورسي) "من حسنت رؤيته جمل فكره، ومن جمل فكره تمتع بالحياة وألتذ بها."[3] وأيا كان الأمر، فإن إبداعاته مست أيضا الأسلوب كما نجد ذلك في "اللمعات،" التي "تشبه الشعر و تأخذ بعض قوالبه، وما

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية...، ص 134-135
[2] ن، م، س، ص. 133
[3] عبد الحليم عويس، ص. 164

هو بالشعر، و ما قصد هو أن تكون شعرا، و إنما أرادها خواطر تأخذ أجمل ما في الشعر و أجمل ما في النثر." وورد عنه "أن هذا الديوان الموسوم "باللوامع" لا يجري مجرى الدواوين الأخرى على نمط واحد متناولا عددا من المواضيع، ذلك لأنه كتب على أسلوب النثر. فعلى ذلك إنه لا يجنح إلى الخيالات و الانطلاق من أحاسيس غير موزونة كما هو في سائر الدواوين. فلا يضم هذا الديوان، بين دفتيه إلا ما هو موزون بميزان المنطق وحقائق القرآن و الإيمان."[1]

يمكن أن نقسم مقاربة النورسي في ترجمة تجربته الإيمانية الداخلية"العميقة"عادة إلى مشهدين،يؤدي الأول إلى الثاني، وكثيرا ما يمتزج ذلك الإحساس بلوحتين أدبيتين بنفس التناغم الذي يجسد المشهد المذكور فيأتي المشهد الأول مثلا على النحو التالي:

ففي بداية شيخوختي ومستهلها، ورغبة مني في الانزواء والاعتزال عن الناس، بحثت روحي عن راحة في الوحدة والعزلة على "تل يوشع" المطل على البسفور. فلما كنت – ذات يوم – أسرح بنظري إلى الأفق من على ذلك التل المرتفع، رأيت بنظير الشيخوخة لوحة من لوحات الزوال والفراق تتقطر حزنا ورقة، حيث جلت (بضم الجيم) بنظري من قمة شجرة عمري، من الغصن الخامس والأربعين منها إلى أن انتهت إلى أعماق الطبقات السفلى لحياتي، فرأيت أن في كل غصن من تلك الأغصان الكائنة هناك ضمن كل سنة جنائز لا تحصر من جنائز أحبابي وأصدقائي وكل من له علاقة معي، فتأثرت بالغ التأثر من فراق الأحباب وافتراقهم، وترنمت بأنين "فضولي البغدادي" عند مفارقة الأحباب قائلا:

كلما حن الوصال عذب دمعي ما دام الشهيق[2]

[1] ن، م، س، ، ص. 165

[2] بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية ص: 192-193.

ثم يعقب هذا المشهد مشهدا ثانيا آخر يدفع المشهد الأول من حال المشاهدة إلى حالة المكاشفة الإيمانية، فيضيف: "لقد بحثت من خلال تلك الحسرات الغائرة عن باب رجاء، وعن نافذة نور أسلي بها نفسي فإذا بنور الإيمان بالآخرة يغيثني ويمدني بنور زاهر، إنه منحني نورا لا ينطفئ أبدا ورجاء لا يخيب إطلاقا.[1]

ويعتبر النورسي الحالة الأولى حقيقة الدنيا وأهل الغفلة فيصورها في لوحة أدبية أولى يقول فيها:

لا تدعني (بضم العين) إلى الدنيا، فقد جئتها ورأيت الفساد.

إذ لما صارت الغفلة حجابا، وسترت نور الحق.

رأيت الموجودات كلها، فانية مضرة.

إن قلت: الوجود! فقد لبسته، ولكن كم عانيت من البلاء في العدم.

و إن قلت: الحياة! فقد ذقتها، ولكن كم قاسيت العذاب.

إذ صار العقل عقابا، و البقاء بلاء.

والعمر عين الهواء، و الكمال عين الهباء.

والعمل عين الرياء، و الأمل عين الألم.

والوصال عين الزوال، و الدواء عين الداء.

والأنوار ظلمات، و الأحباب أيتام.

والأصوات نعيات، و الأحياء أموات، الخ.

ويستتبع ذلك بالحالة الثانية، أي حقيقة الدنيا لدى أهل الهداية فيصيغها في لوحة أدبية ثانية بقوله:

لما زالت الغفلة، أبصرت نور الحق عيانا.

[1] ن، م، س، ص. 193.

وإذا الوجود برهان ذاته، والحياة مرآة الحق..
و إذا العقل مفتاح الكنز، والفناء باب البقاء.
وانطفأت لمعة الكمال، وأشرقت شمس الجمال..
فصار الزوال عين الوصال، والألم عين اللذة.
والعمر هو العمل نفسه، والأبد عين العمر.
والظلام غلاف الضياء، وفي الموت حياة حقة..
وشاهدت الأشياء مؤنسة، والأصوات ذكرا..
ولقد وجدت الفقر كنز الغنى وأبصرت القوة في العجز
إن وجدت الله فالأشياء كلها لك.
نعم، إن كنت عبدا لمالك الملك، فملكه لك..[1]

إن هذا النهج يتكرر بشكل واسع في أكثر وقفاته التأملية وهو يعد بذلك نموذجا حيا من الأدب القيمي المشتبك مع الحالة الإيمانية الداخلية، وذلك في معظم كتاباته وخاصة في "المثنوي النوري العربي."

تتجسد ثنائية السالب والموجب بشكل منهجي معرفي في كتابات النورسي. فالموجب هو المقصود، أما السالب فيحضر لاعتبارات أخرى ومن ذلك القياس. يقول النورسي: "إن كل شيء في الكون ينطوي على خير، وفيه جمال وحسن، أما الشر والقبح فهما جزئيان جدا، وهما بحكم وحدتين قياسيتين، أي أنهما وجدا لإظهار ما في الخير وما في الجمال من مراتب كثيرة وحقائق عديدة، لذا يعد الشر خيرا والقبح حسنا من هذه الزاوية، أي من زاوية كونهما وسائل لإبراز المراتب والحقائق."[2] وينطبق ذلك على ثنائية البقاء والفناء، فالله هو الباقي، فيتجلى ذلك في الأبدية التي ينتقل إليها

[1] ن، م، س، ص. 193-194.

[2] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص. 502

الكون والإنسان بعد الفناء "المادي" أو "الجسدي" ويتماثل ذلك في نظرته إلى فلسفة الموت، فهو لا يري أن الجسد يتحول إلى العدم، بل يتحلل ويعاد تشكيله في حياة روحية جديدة، تماما مثل البذرة التي تتفكك تحت الأرض فتخرج حية في شكل نبتة ذات حياة خاصة. يحدث ذلك على الرغم من أن فطرة الإنسان تخشى هذا الفراق المحسوس. ويرد عن النورسي قوله إن "في فطرة الإنسان عشقا شديدا نحو البقاء، حتى إنه يتوهم نوعا من البقاء في كل ما يحبه، بل لا يحب شيئا إلا بعد توهمه البقاء فيه، ولكن حالما يتفكر في زواله أو يشاهد فناءه يطلق عليه الزفرات والحسرات من الأعماق. نعم إن جميع الآهات والحسرات الناشئة من أنواع الفراق، إنما هي تعبيرات حزينة تنطلق من عشق البقاء، ولولا توهم البقاء لما أحب الإنسان شيئا "وما دام الإنسان عاشقا للبقاء، فلا بد أن جميع كمالاته وأذواقه تابعة للبقاء أيضا، ولما كان البقاء صفة خاصة للباقي ذي الجلال، وأن أسماءه الحسنى باقية وأن المرايا العاكسة لتجليات تلك الأسماء تنصبغ بصبغتها أي تنال نوعا من البقاء، فلا بد أن ألزم شيء لهذا الإنسان وأجل وظيفة له هي شد الأواصر، وربط العلاقات مع ذلك الباقي ذي الجلال، والاعتصام بأسمائه الحسنى، لأن ما يصرف في سبيل الباقي تنال نوعا من البقاء، هذه حقيقة تضمد جراحات الإنسان المعنوية الغائرة، كما تطمئن رغبته الملحة للبقاء المودعة في فطرته."[1]

تنتفي عند النورسي فكرة العدم إذ أن الدنيا وسيلة إلى الآخرة ولا يتأتى هذا الإدراك إلا بالعبادة، فهذه الأخيرة "حبل الوصال، أو نقطة اتصال بين المبدأ والمنتهى،

[1] زياد الدغامين، ص. 35.

تصرف وجه الإنسان من الفناء إلى البقاء، ومن الخلق إلى الحق، ومن الكثرة إلى الوحدانية ومن المنتهى إلى المبتدأ."[1]

وتقوم النظرة المعرفية النورسية على ثلاثية العلم و الوجدان والروح، ويمكن اختزال ذلك في عالم الوردة (بوصفها جزءا من عالم الكون)، فالوردة تتضمن مكونات أساسية نجدها في علم بيولوجية الأحياء، ويمكن أن تدرس كذلك، بيد أن الوردة تثير في الإنسان مشاعر وجدانية وجمالية خاصة وهذا الوجدان، حين تتم معايشته بذاته فحسب، قد يدفع الفرد إلى خيالات قد تنأي به عن المقصد من هذا الصنع المتقن البديع، ولكن هذا المستوى من الوجدان قد يرتفع إلى المستوى الأرقى المقصود عندما يدرك الفرد أن ذلك الصنع والجمال تجلي من تجليات أسماء الله الحسنى ومن ذلك الجمال "إن الله جميل يحب الجمال،" ومثلما يقول النورسي "يتجلى الجمال من الجلال كما يتجلي الجلال من الجمال.. فما أجمل الجلال في عين الجمال، وما أجمل الجمال في عين الجلال."

يرد في أدبيات النورسي مفهوم "السكة" أو" الختم" أي أن كل شيء في الكون يحمل الختم الإلهي الذي شكله أو طبعه بهذا المظهر والتجسيد. فلو تمعن الفرد في قوله تعالى "أم نحن الزارعون"[2] لتبين له "أن من سكته التي لا تقلد ومن خاتمه الذي يختص به، ومن أبهر براهين التوحيد في قدرة غير متناهية وعلم لا يتناهى في تصرف مطلق، في إتقان مطلق، في سهولة مطلقة.. خلق أشياء مختلفات لا تعد، من شيء واحد بسيط، كالنباتات بأشتاتها من التراب وكمختلف أعضاء الحيوان دما لحما عظما وغيرها من

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص. 412

[2] سورة الواقعة، الآية 64

غذاء بسيط... فسبحان من هو القدير على أن يجعل شيئا كل شيء ويجعل كل شيء شيئا."[1]

إن هذه السكة حاضرة في كل جزئية في الكون و لا تخفى إلا على الغافل "فهذه الزهرة هي بمثابة ختم يدل بوضوح على مصور الحديقة، فمن كان مالكا لذلك الختم – الزهرة – فهو مالك لجميع أنواع تلك الزهرة و مثيلاتها المبثوثة على الأرض كافة، ويدل أيضا على أن تلك الحديقة كتابته أي أن كل شيء يسند جميع الأشياء إلى خالقها ويشير إلى تجلي باهر عظيم لوحدانيته سبحانه."[2]

4. دلالة أسماء الله الحسنى في رسائل النور

يرى النورسي أن كل شيء في الكون يستند إلى اسم أو أسماء الله الحسنى،[3] وكل اسم من تلك الأسماء تتجلى "في كل عالم من عوالم الكون وفي كل طائفة من طوائفه."[4] فكما أن للسلطان في الأرض عناوين مختلفة في دوائر حكومته ويعلم ما يجري في تلك الدوائر بقانونه ونظامه وممثليه، فإن "رب العالمين –وهو سلطان الأزل والأبد – له ضمن مراتب ربوبيته شؤون وعناوين مختلفة، لكن يتناظر بعضها مع بعض.. وله ضمن دوائر ألوهيته علامات وأسماء متغايرة، لكن يشاهد بعضها في بعض.. وله ضمن إجراءاته العظيمة تجليات وجلوات متباينة، لكن يشابه بعضها

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، كليات رسائل النور، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، استانبول، تركيا، ص. 353

[2] ن، م، س، ص. 487

[3] جاء في سبب نزول الآية "ولله الأسماء الحسنى،" "يروي ابن عباس أن بعضهم ادعى أن اسم "اللات" مشتق من الله تعالى، و كذلك اسم "العزى" مشتق من اسمه تعالى "العزيز." واللات و العزى صنمان لقريش، فرد عليهم القرآن "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون." انظر في ذلك:
د. عبد المنعم الحفني، تجليات في أسماء الله الحسنى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص. 9.

[4] بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص. 373

بعضا..وله ضمن تصرفات قدرته عناوين متنوعة، لكن يشعر (بضم الياء) بعضها ببعض.. وله ضمن تجليات صفاته مظاهر مقدسة متفاوته، لكن يظهر (بضم الياء) بعضها بعضا.. وله ضمن تجليات أفعاله تصرفات متباينة، لكن تكمل الواحدة تلو الأخرى.. وله ضمن صنعته ومصنوعاته ربوبية مهيبة متغايرة لكن تلحظ إحداها الأخرى."[1]

ويضيف النورسي، في قراءته للآية الكريمة، "وإن من شيء إلا يسبح بحمده،"[2] أن حقائق الموجودات "تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى." وإن "الإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء، حتى أن علم الحكمة الحقيقي يستند إلى الله "الحكيم" وعلم الطب يستند إلى اسم الله "الشافي" وعلم الهندسة يستند إلى اسم الله "المقدر" .. وهكذا كل علم من العلوم يستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى و ينتهي إليه، كما أن حقيقة جميع العلوم وحقيقة الكمالات البشرية...، تستند كلها إلى أسماء الله الحسنى."[3] وبتعبير آخر، فإن "الحقائق الحقيقية للأشياء، إنما هي الأسماء الإلهية الحسنى، أما ماهية الأشياء فهي ظلال تلك الحقائق."[4]

ويرى النورسي أن هذه التجليات إنما هي مؤقتة ولكن ذلك، أي الشيء، إنما يتصف في ذاته بالزوال، أي أن هذا التجلي يكون قائما ومؤقتا،أي نسبيا في ديموميته. يقول النورسي: "أن كل شيء بحد ذاته، و بمعناه الأسمى، زائل، مفقود، حادث، معدوم، إلا أنه في معناه الحرفي وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة لأسماء الصانع الجليل وباعتبار مهامه ووظائفه، شاهد، مشهود، واجد، موجود."[5] فالموجودات مرآة عاكسة

[1] ن، م، س، ص. 373

[2] سورة الإسراء، الآية 44

[3] بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص 730.

[4] ن، م، س.

[5] ن،.م. س، ص. 201

وعدم إدراك تلك العلاقة إنما من باب الغفلة، "فمن يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله." ويضيف النورسي أن تلك الموجودات العاكسة ليست اعتباطية إنما خادمة لفاطرها الجليل، أي أنها ليست مسخرة لنفسها ولذاتها بل لله سبحانه. فأحوال الدنيا المؤقتة[1] "رسائل ربانية ومكاتيب صمدانية، وصحائف نقوش للأسماء السبحانية قد أتمت مهامها، وأفادت معانيها، وأخلفت عنها نتائجها في الوجود، فأعلمني الإيمان بذلك ماهية الدنيا علم اليقين."[2]

وما يمنح تلك الصلة بين تلك الأحوال المنعكسة المتسمة بسمة الزوال (عالم الوجود) وأسماء الله الحسنى إنما الإيمان، هذا الأخير يجعل ما اختاره الإنسان من مواقف وسلوكيات عاكسة ذا قوة أبعد بكثير من ذلك الاختيار. يقول في هذا الشأن "إن هذا الجزء الاختياري الذي هو السلاح الإنساني وإن كان في حد ذاته ناقصا عاجزا قاصرا، إلا أنه إذا استعمل باسم الحق سبحانه، و بذل في سبيله ولأجله، يمكن أن ينال به – بمقتضى الإيمان – جنة أبدية بسعة خمسمائة سنة. مثل المؤمن في ذلك مثل الجندي إذا استعمل قوته الجزئية باسم الدولة فإنه يسهل له أن يؤدي أعمالا تفوق قوته الشخصية بألوف المرات."[3]

ويمكن أن يقاس ذلك بكل اسم من أسماء الله الحسنى حيث أن "فعل التنظيم والنظام الذي هو تجل من تجليات اسم "الحكم والحكيم،" وأن فعل الوزن والميزان الذي هو تجل من تجليات اسم "العدل والعادل،" وأن فعل التزيين والإحسان الذي هو تجل من تجليات اسم "الجميل والكريم،" وأن فعل التربية و الإنعام الذي هو تجل من تجليات

[1] استخدمنا هذا التعبير على اعتبار أن النظرة النورسية تنظر إلى العدم بوصفه زوال مؤقت ما يلبث أن يعاد تشكليه كما في نظرته إلى الموت.

[2] بديع الزمان النورسي، سيرة ذاتية، ص. 219.

[3] ن.م. س.، ص. 219

اسم "الرب الرحيم" كل فعل من هذه الأفعال هو فعل واحد وحقيقة واحدة، تشاهد بوضوح في آفاق الكون كله، فكل منها يشير إلى وجوب وجود واحد أحد، ويبين وحدانيته بجلاء."[1] ويضيف "كذلك أكثر الأسماء الحسنى، بل كل اسم من ألف اسم واسم من الأسماء الحسنى له تجل أعظم في أوسع دائرة من دوائر الكون كهذا. فيظهر الفعل الناتج من ذلك التجلي الواحد الأحد ظهور جليا يناسب سعة ذلك الفعل ووضوحه."[2] وكل من تلك التجليات التي لا تعد ولا تحصى إنما هي"ضياء شامل محيط وشعاع من أشعة ذلك النور الأزلي سبحانه."[3]

وتتجلى أسماء الله في الإنسان بوصفه "خليفة الله في الأرض، أو بتعبير النورسي "فهرس الكون." يقول النورسي "إن الإنسان يمثل أعظم مقصد من المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهل لإدراك الخطاب الرباني. فقد اختار سبحانه من بين مخلوقاته واصطفى من بين الإنسان المكرم من هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وآثاره الكاملة،ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الإنساني كافة، بل باسم الكائنات جميعا."[4] فالإنسان في نظره "فهرس مصغر للكون بما يملك من صفات جامعة فتجليات الأسماء الإلهية في الكون نراها في الإنسان بمقياس مصغر."[5]ويضيف "اعلم أن مفتاح العالم (بفتح اللام) بيد الإنسان، وفي نفسه. فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب ظاهرا، إلا أنها منغلقة حقيقة. فالحق سبحان وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحا يفتح كل أبواب العالم، وطلسما يفتح به الكنوز المخفية لخلاق الكون، والمفتاح هو، ما فيك من "أنا." إلا أن "أنا" أيضا معنى مغلق وطلسم مغلق. فإذا فتحت "أنا" بمعرفة

[1] ن، م، س، ص. 466.
[2] ن، م، س، ص. 467.
[3] ن،م، س، ص. 468.
[4] ن،م، س، ص. 498.
[5] ن، م، س، ص. 29.

ماهيته الموهوبة و سر خلقته، انفتح لك طلسم الكائنات كالتالي: إن الله جل جلاله وضع بيد الإنسان أمانة هي "أنا" الذي ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبيته الجليلة وشؤونها المقدسة. أي يكون "أنا" وحدة قياسية تعرف بها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية."[1]

ويذكر د.الشفيع أحمد أن "اسم الله –سبحانه وتعالي- علم على الذات الإلهية،الواجب الوجود" ويضيف "وقد سمى نفسه بهذه الأسماء لبيان آثارها وتجلياتها في حياة الناس. وهو ما عرف في علم الكلام – (بالتعلق) وسماه آخرون – ومنهم النورسي – بالتجلي وهي تسمية تعبر عن النسبة المخصوصة بحقائقها المختلفة والمتنوعة."[2] ويرى الشفيع،استنادا إلى تأويل النورسي، أن أسماء الله الحسنى أكثر ارتباطا بالإنسان مقارنة بالكائنات الأخرى بوصفه(أي الإنسان) "أفضل الخلق قاطبة وأعلاهم منزلة وتكليفا."[3]ويفسر ذلك بالعودة إلى قول ابن عربي من أن الله سبحانه عندما خلق الكائنات الأخرى من غير المكلفين "بأسماء وصفات الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة، فكان لهذه الأسماء والصفات أثر مشهدي في ذواتهم، فخرجوا أذلاء تحت الجبروت الإلهي."[4] ذلك ما يفهم من قوله تعالى "وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها."[5]أما ما تعلق بالملائكة والجن والإنس فمثلوا تجليات "بأسماء وصفات اللطف اللطف والحنان والرأفة والعطف والمنة."[6] وينفرد الإنسان عن هذه الكائنات الأخرى

[1] بديع الزمان النورسي، الكلمات، 622.

[2] د. الشفيع الماحي أحمد، "منهج النورسي في شرح أسماء الله الحسنى، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، العدد 46، 2001، ص. 193.

[3] ن، م، س، ص. 217

[4] ن، م، س

[5] سورة هود، الآية 56

[6] د. الشفيع، ص. 217

في كونه "مظهرا لجميع تجليات أسمائه وصفاته وصيره مثالا مصغرا ونموذجا للمخلوقات بأسرها."[1]يقول النورسي"اعلم أن الله جل جلاله تعرف إلينا بخلقه ومصنوعاته وتودد بنعمه وإنعاماته وتحبب برزقه ورحماته، ففعل هذه لتلك، بل كأنها هي.

وهكذا تجلى كل اسم من أسمائه الحسنى. فمن تفهمها منها كما هو حقها – بتفهيمه تعالى – ثم فهمها لغيره كافة – بإذنه جل شأنه – يحق له أن يقال في حقه'لولاك لولاك لما خلقت (بفتح الخاء) الأفلاك'."[2]

ويذكر زياد الدغامين أن النورسي "ومن خلال قوله (ص) "إن الله خلق آدم على صورته" رأي في الإنسان مرآة عاكسة لأسماء الله الحسنى، فترى في أسمائه: القدير، الحكيم، البصير، العليم متجليا في خلق الإنسان على هذه الطبيعة العجيبة، ومتجليا في سلوك الإنسان الخليفة في عمارته للأرض على أسس الخطاب الإلهي وهدايته فيشير إلى كون الإنسان مرايا عاكسة لتجلياته سبحانه."[3]ويشير الدغامين إلى تشابه هذا الطرح مع فكرة الغزالي من أن العبد يتقرب إلى الله سبحانه "بالصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل: تخلقوا بأخلاق الله."[4]

يعتبر النورسي "أن الجمال الذي هو في منتهى الكمال لا بد أن يشهد (بفتح الياء) و يشهد (بضم الياء) جماله. وأن الكمال الذي هو في منتهى الجمال لا بد أن يشهد (بفتح الياء) و يشهد (بضم الياء) كماله.فبناء على هذا الدستور العام فإن البارئ المصور سبحانه الذي أبدع كتاب الكون العظيم هذا يعرف جمال كماله ويحببه بألسنة مخلوقاته – ابتداء من أصغر جزئي إلى أكبر كلي – فيعرف سبحانه ذاته المقدسة، و يفهم كماله السامي، ويظهر جماله البديع، بهذا الكون الرائع ،وبكل

[1] ن، م، س، ص. 218

[2] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ... ص. 311.

[3] زياد الدغامين، ص. 25.

[4] ن، م، س، ص. 25.

صحيفة فيه،وبكل سطر فيه، وبكل كلمة فيه، بل حتى بكل حرف وبكل نقطة من كتابه العظيم هذا."[1]

يرى النورسي ارتباطا ضروريا بين أسماء الله الحسنى والرسالة المحمدية، "إن اسم الله "الحكم والحكيم" يقتضيان بداهة نبوة محمد (ص) ورسالته، ويدلان عليها ويستلزمانها." ويقول "ما دام الكتاب البليغ بمعانيه ومراميه، يقتضي معلما بارعا لتدريسه.... والجمال الفائض يقتضي مرآة يتراءى فيها، ويرى بها جماله وحسنه. والصنعة البديعة تستدعي مناديا داعيا إليها... فلا بد أن يوجد رائد أكمل... وليكون مبعث ظهور المقاصد الربانية في خلق الكون بل السبب في حصولها..."[2] ويعتبر أن جل أسماء الله الحسنى "تستلزم الرسالة الأحمدية في أعظم تجلياتها وإحاطتها بالكون كله، استلزاما قاطعا لا ريب فيه."وبتعبير آخر، فإن هذه الأسماء "تشاهد (بفتح الهاء) في تلك المرآة الأحمدية، وتشهد بها.."[3]

5. أخلاقيات الإعلام في سياق الرؤية النورسية

إن قراءتنا في فكر النورسي استقرائية إذ أنه لم يتعامل مع الظاهرة الإعلامية بشكل مباشر، إنما رؤيته تمتد إلى شتى المجالات وما يخصنا الطابع الأخلاقي في الممارسة الإعلامية.إن أدبيات الأخلاقيات الإعلامية ارتبطت تاريخيا بالإعلام الغربي إذ ظهر الحديث عن أخلاقيات الإعلام (media ethics) بفعل التجاوزات التي صاحبت الأداء الإعلامي الذي كان يتحرك في سياق النظرة الليبرالية "النظرية" بالقليل من الضوابط

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات ، ص. 476.
[2] ن.م.س، ص. 481.
[3] ن، م، س، 482.

التوجيهية، وظهرت أول وثيقة في هذا الشأن والمعروفة بركائز الصحافة[1] (canons of journalism) في أمريكا في العشرينيات من القرن العشرين.

يتضح أن تاريخ أخلاقيات الإعلام في المنطقة العربية والإسلامية "هزيلا" نسبيا ولم يكن تاريخيا مستقل بقدرما كان يحاكي المصفوفات اللفظية الغربية في الشكل دون المضمون الذي ظل باهتا إن في الدلالة أو الممارسة.

إن مراجعة مواثيق الشرف الإعلامية في المنطقة العربية بدءا بميثاق "فيدرالية الصحفيين العرب"سنة 1972 إلى ميثاق قناة الجزيرة الإخبارية سنة 2004 تبين ما يلي:

تباين مستوى تطور هذه المواثيق من بلد لآخر؛

أن الجهة التي تصدر الوثيقة (على الرغم من شكليتها) تكون رسمية (وزارة) أو جمعية تتبع هيئة رسمية أو جمعية شبه مستقلة ونادرا ما تكون مستقلة. وتأتي بعض المواثيق المشتركة من هيئات رسمية ذات طابع سياسي تقييدي (مجلس وزراء الإعلام العرب) مما يؤثر على طبيعة المضمون الوارد في هذه المواثيق.

تذبذب المرجعية الثقافة والأيديولوجية واستثناء المرجعية القيمية في مثل هذه المواثيق،ويمكن إيجاد ملامح سلطوية وأخري ليبرالية وقومية وغيرها في تلك الأخلاقيات.ويكون هذا "الاهتزاز" العنصر الأساس في "الخلل المعرفي" لا الشكلي في مضامين تلك المواثيق.

ولو توقفنا على الاعتبارات المهنية "البحتة" دون طرح مسألة المرجعية فإننا نجد في هذا الباب مجالات تحركت في مجال الممارسة الإعلامية بأشكال مختلفة على المستوى النظري لا الواقعي:

[1] تم ضبطها من طرف الجمعية الأمريكية لرؤساء تحرير الصحف *American Society of Newspaper Editors* في 28 أبريل 1923 و تتضمن: 1) المسؤولية (responsibility) ، 2) حرية الصحافة (freedom of the press) ، 3) الاستقلالية (independence) ، 4) الجدية، الحقية و الدقة (sincerity, truthfulness and accuracy) ، 5) الحياد (impartiality) ،6) الانصاف (fair play) ، و 7) الاحتشام (decency)

أ) مجال تميز ببعض التطور في اتجاه تمتين النزعة المهنية "البحتة" ومن ذلك حق الصحفي في الوصول إلى مصادر الخبر (إلا ما كان استثناءا بقانون صريح) وحق الصحفي في الحفاظ على سرية مصادر المعلومات وفصل الخبر عن الرأي وحق الرد والتصحيح (في الزمن والمساحة المحددة) وعدم استخدام الوسائل غير المشروعة في الحصول على الخبر و الصورة.

ب) مجال ما زال "معلقا" وليس واضحا إلى حد كبير في أذهان الممارس الإعلامي و"المخيال الاجتماعي" على وجه العموم.

- ✓ مسؤولية الممارس الإعلامي: ويعني ذلك، هل أن هذا الأخير مسؤول تجاه "الجمهور" أو الجهة الرسمية أو سياسة المؤسسة الإعلامية أو بعض "المفاهيم المجردة" من مثل الوطن و المصالح العليا و ما شابه ذلك.
- ✓ مدى انخراط الممارس الإعلامي في الحدث، وذلك فيما إذا كان هذا الأخير ينظر إلى أدائه بوصفه عملية حيادية، وفي الحياد درجات ومن ذلك الحياد النسبي والحياد الإيجابي وحياد غير المعني، الخ أو أنه يقع "داخل" الحدث وملتزم وإلى أي درجة.
- ✓ موقع الاعتبارات التجارية والسياسية في التغطية الإعلامية والقصد من ذلك أن عدة أطراف قد تتجاذب في ساحة الإعلام دون تقاليد ضابطة ومن السهولة بمكان تحول العملية الإعلامية إلى خطاب سياسي حين يعد الإعلام امتداد الحقل السياسي أو قوالب غريزية عند تدخل الرأسمال المادي سعيا وراء الاستحواذ على الرأسمال الرمزي.
- ✓ مكانة القضاء و القانون في التعامل مع القضايا الإعلامية الجدلية.

- ✓ عدم التمييز الدقيق بين "النقد المباح" والقذف وأدت هشاشة الخط الرفيع الذي يفصل بين العمليتين إلى الوقوع في الكثير من التجاوزات التي يصعب "إصلاحها" على اعتبار أن الضرر قد وقع.

ج) مجال تراجعت فيه عدد من الممارسات التراكمية "الموجبة" في مجال المساحة المتاحة في تناول قضايا المجتمع و الأمة و بالأخص تلك المتصفة بالجلدية وفي مجال "المسؤولية" ولو بمفهوم المصلحة العامة النظرية، أي ما يمكن تسميته المسؤولية الاجتماعية ويدخل في ذلك:

- ✓ تقييد إمكانية نقد المؤسسات الرسمية ومن ذلك "الشخص المسؤول"
- ✓ الإحالة في العديد من القوانين الإعلامية إلى قوانين النشر أو القانون الجنائي قصد تضييق مجال الممارسة الإعلامية إلى أبعد الحدود، الشيء يجعل هذه القوانين تبدو ردعية وعقابية بشكل مسبق.[1]
- ✓ الإبقاء على الفقرة "المبهمة والمطاطية" المشهورة المقيدة التي تكرر في القوانين بل في الدساتير بالمنطقة ومفادها أن الإعلام حر في تناول القضايا باستثناء ما يمس "المصلحة العامة" أو "الأمن الوطني" أو "السيادة الوطنية. وبدون تقنين هذه التعبيرات بشكل دقيق، يبقى كل شيء تقريبا تحت طائلة مثل هذه الألفاظ.

ضعف الصلة بين الإعلام والمسؤولية الاجتماعية "البحتة" ويعنى ذلك "هشاشة" انخراط الإعلام في قضايا المجتمع داخليا وخارجيا وخاصة ما تعلق بالجانب القيمي إذ هناك تسيب ساطع في هذا المجال وأضحت العديد من وسائل الإعلام "التفاهية" و"المتاهية"

[1] يلجأ الممارس الإعلامي في أمريكا مثلا إلى الاستناد إلى المادة الأولى المعدلة في الدستور الأمريكي من "أن الكونغرس الأميركي لا يحق له أن يسن قوانين تحد من حرية الصحافة" من أجل رفض أية قوانين إعلامية بفعل أن أي قانون يتضمن قيود مسبقة .

منفذ المضامين التي تعمل بأشكال مبثوثة أو مباشرة على تكسير البنية القيمية والثقافية في المجتمع.

د) مجال لم يعالج و لم يدخل بعد في أدب هذه الأخلاقيات و نخص بالذكر"الضوابط الأخلاقية التي يتعين أن تضبط الإعلان (التجاري)" "درجة" العنف التي يمكن أن تعرضها[1] القنوات الإعلامية في أزمنة الحروب والصراعات، كيفية التعامل مع الأحداث التي يعتقد أنها عرض تمثيلي (staging) خاصة في مجال الدعاية السياسية، واحترام خصوصية الفرد مثل تسجيل المكالمات الهاتفية أو عرض شرائط مسموعة مرئية خصوصية على شبكة الإنترنت وحقوق الملكية الفكرية الإعلامية... الخ

تعددت العوامل التي تجعل المواثيق الأخلاقية (أو مواثيق الشرف الإعلامية) بدون فاعلية ومن ذلك الرقابة الذاتية التي يمارسها الإعلامي وعدم استغلال بعض المساحة من الفسحة "السياسية" المتاحة، الضغوط الإدارية التي تمارس على الممارس الإعلامي غياب ثقافة النقد و الذي ينعكس في غياب أهم الفنون الصحفية المساهمة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ويخص التحقيق الصحفي، الدور "الهامشي" الذي تلعبه الجمعيات الصحفية المحدودة والشكلية، وتراجع مستوى التكوين الإعلامي الجامعي إلى مستويات دونية إلى حد كبير.

إن هذه العوامل وإن كانت واقعية وقائمة ولكنها لا تمثل إلا "ستائر" إذا اقتبسنا أحد مفاهيم النورسي. فمسألة الأخلاقيات تحتاج إلى مقاربة على المستوى الكلي ويؤدي ذلك إلى مساءلة المرجعية القيمية أو الفلسفية التي تقوم عليها هذه المنظومة "الأخلاقية" وقد سبقت الإشارة إلى أن تاريخ أخلاقيات الإعلام في المنطقة "هش" بفعل أن العديد من مفردات تلك الأخلاقيات (المذكورة سابقا) ظلت معلقة بدون

[1] تضمن ميثاق أخلاقيات قناة الجزيرة بعض الضوابط في هذا الشأن

تأويل واضح المعالم مما أفرغها جزئيا من مضامينها المحتملة وجعل التعلق بها أمرا شكليا بل منسيا و أحيانا تؤول بشكل متناقض بين هذا المجتمع أو ذلك كأن يسمى الحدث "مقاومة " عند البعض و"إرهابا" عند البعض الآخر والطرفان يستندان إلى نفس الصفة الواردة في الأخلاقيات أي "الموضوعية" والحاصل أن النقل من الغرب (من الإنجليزية بالأساس) في هذا المجال كان أمر شكليا ومن باب المحاكاة على اعتبار أن من شروط الدخول في "الحضارة الإعلامية" تبني تلك الأخلاقيات التي يقال أنها تحكمها نظريا بينما التاريخ ومن ذلك تاريخ الاستعمار يشهد على إخفاق تلك الاعتبارات في الممارسة الإعلامية "المتحضرة". يضاف إلى ذلك إلى أن بعض هذه الأخلاقيات كان محل نقد عدد من الأكاديميين الغربيين مثل "دافيد غوردن" الذي يرى أن "حرية التعبير لا ينبغي أن تصبح مبررا للسلوك الإعلامي غير المسؤول"[1] ويرى "نيغل هاريس" بدوره أن مواثيق الشرف الإعلامية المتعددة ليس لها أثر على الممارسة الإعلامية ما لم تمس بشكل مباشر الممارسة الإعلامية فهي (أي المواثيق) لا تحدد السلوك "الجيد" وكيف يمكن تحقيقه.[2]

يدخل في تلك الأخلاقيات ما شاع في بعض الفترات التاريخية وخاصة في بعض الأدبيات الموصوفة "بالاشتراكية" أو "الوطنية" بمبدأ "الالتزام" (أي الالتزام تجاه أيديولوجية معينة) ثم تحول في الممارسة إلى "إلزام"و فقد الكثير من بريقه بتراجع تلك الأيديولوجية. يبدو هذا المصطلح محدودا بالمقارنة مع مفهوم "الإذعان" عند النورسي. فالممارس الإعلامي يحتاج إلى الإذعان للحق وليس التعلق بتيار ظرفي يحتكم إلى "المؤقت" أو إلى الهوى وما يلبث أن يأتي عليه الزمن وقد دعا النورسي "أن تكون الكلمات إذعانا لا التزاما، أي إذعانا للحق، وتعاليم الحق، وما الإسلام إلا الإذعان

[1] David Gordon, "Ethics and Freedom: Media Accountability," in A. David Gordon & John Michael Kittross, Controversies in Media Ethics, Longman, New York, 1999, pp. 26-38.
[2] Nigel G. E. Harris, Codes of Conduct for Journalists, in Andrew Belsey & Rut Chadwick, Ethical Issues in Journalism and the Media, Routledge, New York, 1998, p. 75.

المطلق لإرادة الله تعالى، وذلك الإذعان المطلق هو الذي يحقق الحرية التي يتنفسها (الكاتب) ولا يستطيع أن يحيى بدونها."[1]

إن المتمعن في ابستمولوجية تلك المصفوفة اللغوية المنتسبة إلى أخلاقيات الإعلام السائدة يجدها تصطف أحيانا إلى جانب النزعة الليبرالية وأحيانا إلى مثالية في الشكل ودونها في المضمون.ويتجسد هذا الأمر مثلا في دلالة بعض الألفاظ من نوع "الحرية" و"المسؤولية الاجتماعية " المنبثقة من قاموس النظرية الليبرالية التي وضع أسسها عدد من فلاسفة عصر التنوير بأوربا أمثال جون استوارت ميل، أو في بعض المفردات التي تحتمل أكثر من تأويل حسب السياق والمؤسسة والفرد مثل الحياد والموضوعية وغيرها (المذكورة سابقا) وهذا ما يجعل إعادة تأسيس تلك الأخلاقيات، كما أسلفنا، أمرا مشروعا من الناحية النظرية المعرفية و المهنية.

إن الممارس الإعلامي في المنطقة العربية و الإسلامية و بوصفه يحمل ضمنيا رسالة حضارية يصعب عليه أن يقفز على تلك السمات الحقيقية التي مكنت الرسول –صلى الله عليه وسلم– من التكفل بدعوة غيرت وجه البشرية بشكل غير مسبوق: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا"[2] وتكون نظرة الممارس الإعلامي إلى مهنته وأدائه "ناقصة" إن لم يقتد جزئيا بتلك الصفات والإستراتيجية الإعلامية التي اتبعها الرسول– صلى الله عليه وسلم– ومن اهتدى بهديه في تبليغ الرسالة وإقناع المتلقي بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن. الأمر واسع في هذا الجانب، إنما تركيزنا على الفكر النورسي وحفرياته النيرة خاصة في النص القرآني.

[1] د. حسن الأمراني، النورسي أديب الإنسانية، مرجع سبق ذكره ، ص. 118.

[2] سورة الأحزاب، الآيتان 45 و 46

إن التأمل في المعاني الكامنة في أسماء الله الحسني يؤدي إلى إدراك تلك المهام التي يتعين أن يتصف بها الإنسان و يمكن من استنباط دلالات وجودية ومصيرية خاصة ما تعلق بعلاقة الإنسان مع الآخر، الإنسان على النحو الذي يختص بعلاقة الممارس الإعلامي مع المتلقي والآخر.

يمكن أن نستقري من منهج النورسي رؤية قيمية متميزة عن أخلاقيات الإعلام التي يتعين أن يستنير بها الممارس الإعلامي بوصفة أداة نقل"الحقائق" إلى حالة المتلقي وتشمل هذه الرؤية عدة مستويات: . إعادة تشكيل تلك الصفات السائدة في باب الأخلاقيات بعيدا عن الخطاب الإنشائي والتخميني الذي يؤدي إلى تأويلات"هشة" ومتناقضة بتعارض المصالح والأهداف. فأي وسيلة إعلامية يمكن أن "تدعي" "الحياد والموضوعية والإنصاف والدقة.. إلخ" ثم تؤول تلك الألفاظ بهوى معين وفق الوضع والمصلحة والأفكار النمطية التي تحكم هذه الوسيلة أو تلك.يمكن قراءة ذلك بسهولة في الطريقة التي تغطي بها قنوات "بي، بي، سي " و"الجزيرة" و"سي، أن، أن" و"العربية" و" العالم" و"المنار" و"أبوظبي" القضية الفلسطينية مثلا.

. اعتبار القيمة التي مصدرها المعتقد، المنبع في تأسيس الأخلاقيات وإدراك دلالة تلك الأسس في السياق المعرفي الواسع.

. النظر إلى أسماء الله الحسنى بوصفها النور المحدد في استقراء تجليات تلك الأسماء في سلوك الإنسان ومن ذلك الممارسة الإعلامية.

. اعتبار دلالة أسماء الله الحسنى على أكثر من مستوى، ذلك أن من تلك الأسماء ما يتجلى في شكل الاقتداء أحيانا، فلو أخذنا اسم الرحيم (المصدر: الرحمة)، فإن صفة الرحمة "مطلوبة كضرورة" في سلوك الفرد في هذه الحالة وهذا ما ينبهنا إليه الحديث "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"وبتعبير آخر، فإن رحمة الإنسان بالإنسان من رحمة الله (الرحيم) وتأخذ هذه الأسماء الحسنى شكل الاتعاظ أحيانا أخرى.فلو تمعنا

في اسم "الجبار" فتجليه في الإنسان يكمن في عدم التجبر بذكر الجبار الذي هو فوق كل متجبر والإنسان الجبار العنيد "هو الطاغية المستبد الذي يحكم بالجبروت، ومع ذلك فإن جبروته حتما إلى الزوال "وخاب كل جبار عنيد."[1] فالله وحده ولا غيره هم المستحق للجبروت."[2]، الخ.

والحديث قياس[3] و يمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولا: إن قراءة تأويلية تفكيكية في دلالة ألفاظ أخلاقيات الإعلام تدل على اهتزاز تلك المسميات و تباين معانيها من جهة إلى أخرى حتى اعتبر البعض أن هذه المفردات "مجرد شعارات" أو "أساطير" منسوجة بخيوط مبهمة."ولا نقصي "بالجملة" تلك الألفاظ إنما يمكن إعادة تشكيل البعض منها من مثل "الصدق" والإنصاف" و"احترام خصوصية الفرد"..الخ.والرقي بها، مثلما ذكرنا، من حال الأوصاف المقطوعة إلى حال الأوصاف الموصولة.

ثانيا: إن الفرد أو الجماعة (ممثلة في جمعيات الصحفيين) ليس بمصدر القيمة ولكن خلية يمكن أن تجسد تلك القيمة في الواقع (أي الممارسة الإعلامية)

ثالثا: تعتبر أسماء الله الحسنى في المنهج الورنيسي المصدر الأساس في تلك الصفات التي تتجلى في المخلوقات و أرقاها الإنسان.

رابعا: أن دلالة أسماء الله الحسنى متعددة بتعدد المعنى والتجليات التي تظهر في الكون الإنساني.ركز النورسي على ست صفات وأسهب في ذكر أنوراها بأسلوب بلاغي مبين

---

[1] سورة إبراهيم، الآية 15

[2] د. عبد المنعم الحفني، ص. 96.

[3] فحظ الفرد من اسم "البصير" أن ينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت ويعلم أن الله يراه ويسمعه، ومن اسم "العظيم" تعظيم شعائر الله، ومن اسم "الحفيظ" المحافظة على الجوارح من المعاصي، ومن اسم "الوكيل" التوكل على الله، ومن اسم "التواب" أن يقبل أعذار المخطئين أو المذنبين، ومن اسم "المنتقم" الخوف من الله إذ أن من خاف الله دله الخوف على كل خير، ومن اسم "القهار" أن يقهر الإنسان نفسه حتى تطيع أوامر ربها و يقهر الشيطان و الشهوة والغضب، الخ

وذلك في اللمعة الثلاثين من مؤلفه "اللمعات" وسماها "بالأنوار الستة للاسم الأعظم"[1] ولا داع الدخول في الجدل الخاص بعدد[2] أسماء الله الحسنى، إنما الثابت في الحديث أن العدد مائة إلا واحد (تسعة و تسعون أسما) إذ ورد عن الرسول (ص) أنه قال: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[3] وقد يكون ذلك العدد حدا أدنى إذ يرد في الدعاء المأثور عن الرسول –صلى الله عليه وسلم- "اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك..."[4] ويوضح النورسي هذا المعنى بقوله: "اعلم أنه كما أن للسلطان عنوانات متنوعة لحاكميته في دوائر حكومته وطبقات رعيته ومراتب سلطنته ووظائف أميريته، كأنه موجود حاضرو مشهود ناظر في كل دائرة وخلف كل حجاب بممثله و قانون نظامه، كذلك مثلا – ولله المثل الأعلى – إن من له الأسماء الحسنى، له تجل في عالم (بفتح اللام) عالم (بفتح اللام) بعنوان اسم من أسمائه الحسنى ويستتبع ذلك الاسم في دائرة سلطنته سائر الأسماء بل ويتضمنها.. وكذا يتصرف في كل طبقة طبقة كلا وجزءا، كليا وجزئيا بتجل خاص في ربوبية خاصة بجلوات اسم خاص، أي يتجلى عليه بخصوصية كأنه يخصه، مع أنه يعم ويحيط"[5] ويضيف "وله سبحانه في مراتب ربوبيته شؤونات متناظرة ..... وله في سرادقات ألوهيته أسماء متعاكسة..... وله في مرايا حشمته تمثيلات متفاوتة.. وله في تصرفات

[1] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، مرجع سبق ذكره ، ص. 515

[2] ذكر النورسي أن "لدى الإمام علي رضي الله عنه هو ستة أسماء حسنى هي "فرد، حي، قيوم، حكم، عدل، قدوس"... ولدى أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه اسمان هما "حكم عدل"... ولد الشيخ الكيلاني قدس سره هو اسم واحد "يا حي"...ولدى الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي رضي الله عنه هو "القيوم"...وهكذا، في: بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص. 512 .

[3] صحيح البخاري، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003، ص. 448.

[4] الغزالي، أبو حامد، المقصد، مرجع سبق ذكره ، ص. 167

[5] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، مرجع سبق ذكره ، ص. 340

قدرته عناوين متنوعة.....وله في تجليات صفاته ظهورات متزاهرة.. وله في جلوات أفاعيله تصرفات متظاهرة..... وله في تنويع مصنوعاته ربوبيات متدائرة على تجلي الأحدية على جزئيات محاط الواحدية."[1]

يصعب في حدود هذه الدراسة الإحاطة منهجيا بدلالة كل صفات الله الحسنى المعروفة، و تم التركيز على تلك الصفات التي يمكن أن تنير الممارسة الإعلامية على الرغم من أن تلك الصفات أنوار تسطع وتستوعب شتى مجالات الحياة المادية والمعنوية. وقد سرت في ذلك على خطوات النورسي ووسعت من دائرة أسماء الله الحسنى بما يتوافق مع طبيعة الموضوع،أي أخلاقيات الإعلام،فأسماء الله الحسنى في نظر النورسي إنما يمكن أن "تتمظهر" نسيبا في الفعل الإنساني "النسبي" أيضا. وتشمل هذه الأسماء التي تناولها النورسي بالتفصيل ما يلي:

1. القدوس (التجلي: صفاء المعنى)

يشير اسم "القدوس" إلى فعل التطهير، يقول النورسي "فالطهر والنقاء والصفاء والبهاء المشاهد في قصر العالم البديع هذا ما هو إلا نابع من تنظيف حكيم مستمر، ومن تطهير دقيق دائم...فلولا المراقبة المستديمة للنظافة و العناية المستمرة بالطهر لكانت تختفي على سطح الأرض مئات الآلاف من الأحياء خلال سنة..."[2] ويضيف "لولا التنظيف الدائب والتطهير الدائم في سطح الأرض، لكانت الأنقاض والأوساخ والأشلاء الناتجة من تعاقب الموت والحياة اللذين يصيبان مئات الألوف من أمم الأحياء، تملأ البر والبحر معا، ولكانت القذارة تصل إلى حد ينفر كل من له شعور أن ينظر إلى وجه الأرض الدميم بل كان يسوقه إلى الفرار منها إلى الموت والعدم ناهيك

[1] ن، م، س، ص. 340

[2] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات ، مرجع سبق ذكره ، ص. 465

عن حبه وعشقه."[1] ويقول في السياق نفسه "إن تطهير سطح الأرض هذا وتنظيفه وتنسيقه وتزيينه هو من كمال الإتقان بحيث يجعل الذين لا يرون – بإيمانهم – جمال الآخرة يعشقون هذا الجمال وهذه النظافة لهذا العالم الدنيوي بل قد يعبدونه."[2] ويتجلى اسم القدوس في "الأوامر الإلهية المقدسة الخاصة بالتطهير وانعكاس ذلك في مهمة موظفي الصحة العامة التي تقوم بها الصقور، وأنواع الديدان والنمل و"حتى الكريات الحمر والبيض الجارية في الدم فتقوم بمهمة التنظيف والتنقية في حجيرات البدن كما يقوم التنفس بتصفية الدم، بل حتى الأجفان الرقيقة تستمع لها (إشارة إلى الأوامر الإلهية) فتطهر العين باستمرار، بل حتى الذباب يستمع لها فيقوم بتنظيف أجنحته دائما."[3] وقس على ذلك "الرياح الهوج والسحاب الثقال والنجوم والمعادن والنباتات بأشكالها وأنواعها والذرات جميعا، وكل ذلك يدل على فعل واحد وحقيقة واحدة هو تجلي اسم "القدوس" الأعظم ولله المثل الأعلى،"[4] كما يضيف النورسي.[5]

2. العدل (التجلي: الموازنة):

يتعلق اسم العدل بالموازنة والاتزان[6] "أن ما يحدث ضمن هذه الموجودات التي لا يحصرها العد من تحولات، وما يلج فيها وما يخرج منها لا يمكن أن يكون إلا بعملية وزن وكيل، و ميزان من يرى أنحاء الوجود كلها في آن واحد، ومن تجري الموجودات جميعها أمام نظر مراقبته من كل حين... ذلكم الواحد الأحد سبحانه."[7] ويضيف

[1] ن، م، س.

[2] ن،م، س.

[3] ن، م، س، ص. 466

[4] ن، م، س.

[5] و يدخل ضمن حظ المرسل من هذه الصفة "صفاء التفكير و وضوحه،" فالكتابة الواضحة دليل التفكير الواضح.

[6] و يدخل ضمن حظ المرسل في ذلك أن يوازن بين الأحداث و الآراء المتعددة و المتدافعة و يزن تلك الظواهر بميزان الحق كلما استطاع إلى ذلك سبيلا.

[7] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص. 469.

"إن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء وتأمر البشرية بإقامة العدل. وإن ذكر الميزان أربع مرات في سورة الرحمن[1] إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمته العظمى في الكون."[2] وقد بين عبد الله الخطيب أن صفة "العدل" تشكل "العدالة الاجتماعية،"وذكر من تجليات العدل "العمل بالشريعة الإسلامية،""العدالة في التعامل مع الآخرين من المسلمين المختلفين في المذهب أو الفكر أو في السياسة" "العدالة في المعاملة مع المخطئ"... الخ.[3]

3. الحكم (التجلي: الاستقلالية)

يشير الحكم إلى التنظيم والانفراد. يقول النورسي "أن الخاصة الأساسية للحاكمية إنما هي "الاستقلال" و"الانفراد" فالانتظام يقتضي الوحدة كما أن الحاكمية تقتضي الانفراد"[4] ويضيف "إن كل ما في الزهرة والثمرة موزون بميزان دقيق و ذلك الميزان مقدر مقدر وفق تناسق بديع وذلك التناسق يسير منسجما مع تنظيم وموازنة يتجددان وذلك التنظيم والموازنة يجريان في ثنايا زينة فاخرة وصنعة متقنة وتلك الزينة والإتقان يظهران بروائح ذات مغزى وبمذاقات ذات حكمة... وهكذا تشير كل زهرة إلى الحكم ذي الجلال إشارات و تدل عليه دلالات، بعدد أزهار تلك الشجرة و الشجرة هي بمثابة كلمة و ثمارها التي هي بحكم حروف تلك الكلمة و بذور الثمر كأنها نقاط تلك

[1] قوله تعالى "و السماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان، و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان." (سورة الرحمن، الآيات 7-9)

[2] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، مرجع سبق ذكره ، ص. 472

[3] د. عبد الله الخطيب، " أثر رسائل النور في نشر العدالة الفردية و الاجتماعية،" دراسة غير منشورة، جامعة الشارقة، 2009

[4] ن، م، س، ص. 477.

الحروف التي تضم فهرس الشجرة كاملا وتحمل خطة أعمالها."[1] ويستخدم الشجرة بوصفها جزء عن الكل ويضيف "هذه الشجرة إذا أخذناها مثالا وقسنا عليها كتاب الكون الكبير ترى سطوره وصحائفه قد صارت بتجلي أنوار اسم "الحكيم الحكم" معجزة باهرة، بل غدت كل صحيفة منه، وكل سطر منه وكل كلمة وكل حرف وكل نقطة معجزة تبلغ مع العظمة ما لو اجتمعت الأسباب المادية كلها على أن تأتي بمثل تلك النقطة –أي البذرة – أو بنظيرها لا تأتي بمثلها. بل تعجز الأسباب جميعها عجزا مطلقا عن معارضتها."[2] وتجلي صفة الحكم في الإنسان، إذ يرى النورسي "إن الصانع القدير باسمه "الحكم والحكيم" بوأ الإنسان الذي هو أكثر من يمثل الحكم المقصودة في الكون وأفضل من يظهرها موقع الصدارة ، وجعله بمثابة مركز تلك العوالم و محورها، إذ يتطلع ما فيها من حكم و مصالح إلى الإنسان... لذا فإن تجليات اسم "الحكيم" تبدو واضحة بأبهر صورها وأسطعها من خلال مشاعر الإنسان، ومن تضاعيف مذاقات الرزق، حتى غدا كل علم – من مئات العلوم التي توصل الإنسان إلى كشفها بما يملك من شعور – يعرف تجليا واحدا من تجليات اسم "الحكم" في نوع من الأنواع." ويضيف، فعلم الطب "صيدلية كبرى أحضرت فيها بإتقان جميع الأدوية وادخرت، " وعلم الكيمياء "مختبر كيمياء منتظم بديع كامل" وعلم الزراعة "حدائق غناء ومزرعة معطاة، تستنبت فيها أنواع المحاصيل، كل في أوانه."[3] وقس على ذلك.[4]

4. الفرد (التجلي :الإيمان بالله) :

[1] ن، م، س، ص. 475.

[2] ن، م، س

[3] ن، م، س، ص. 477-478.

[4] و يدخل ضمن حظ المرسل من تلك الصفة عدم الانجرار إلى التيارات أو الأيديولوجيات الظرفية المرتبطة بمصالح آنية و التمعن في تجليات آيات الله تعالى في الواقع المعايش.

نقرأ في تأويل النورسي أن صفة الفرد تخص بالأساس وحدانية الله تعالى ومن دلالة هذه الصفة ختم الوجود كله بختم واحد والتصرف في الكون في كله وجزئياته وسهولة الخلق والنظام المتقن والانتظام البديع وغيرها. فصفة الفرد[1] تدل على أن "النظام الرصين في الكون والانتظام الرائع في المخلوقات كافة والموازنة الدقيقة بين الموجودات... يظهر لنا التجلي الأعظم لاسم الفرد ويشهد شهادة واضحة على الوحدانية" [2] ويمكن رؤية ذلك المشهد في الآية الكريمة "فارجع البصر هل ترى من فطور."[3] ويبين النورسي ذلك بقوله"أن الواحدية تدل على أن الاسم يحيط بكل شيء، وأن الأحدية تدل على أن كل شيء حي يشير إلى كل اسم له تعلق بالكون، فالتجلي بالواحدية بإحاطته بكل الأشياء وبالأحدية بإراءة كل شيء لكل الأسماء."[4]

يرى الشفيع أحمد أن مدلول الأحدية اكتسب "المعاني نفسها التي للألوهية كاستغنائه تعالى عن الكل واحتياج الكل إليه و تفرده عن غيره ذاتا وصفاتا وأفعالا،

[1] يقول النورسي في تفسير صفة الفرد "لقد وضع اسم الله الأعظم "الفرد" بتجليه الأعظم على الكون كله بصمات التوحيد المميز، وأختام الوحدانية الواضحة، على مجموع الكون، وعلى كل نوع فيه، وعلى كل فرد فيه." (زياد الدغامين، ص. 284) ويضيف "إن التجلي الباهر لاسم الله "الفرد" يجعلنا نشاهد – على وجه الأرض ولاسيما في الربيع – ختما لامعا للأحدية، وآية جلية للوحدانية بحيث أن من لا يدير جميع الأحياء على وجه الأرض كلها بأفرادها وأحوالها وشؤونها كافة، والذي لا يرى ولا يخلق ولا يعلم جميعها معا، لا يمكن أن يكون له تدخل في أي شيء من حيث الإيجاد."(زياد الدغامين، ص. 285) ويذكر في السياق نفسه "لقد تحول الكون كله بالتجلي الأعظم لاسم الله "الفرد" إلى ما يشبه رسائل صمدانية ومكاتيب ربانية متداخلة بعضها في البعض الآخر، تزخر كل رسالة منها بأيات الوحدانية و اختام التوحيد، وتحمل كل رسالة بصمات الأحدية بعدد كلماتها، بل إن كل كلمة فيها تفصح عن وحدانية كاتبها، إذ كما يدل الختم أو التوقيع في الرسالة على كاتبها، فإن كل زهرة وكل ثمرة، وكل عشب، وكل حيوان، وكل شجر إنما يمثل ختم الأحدية وطغراء الصمدانية.." (زياد الدغامين، ص. 587)

[2] ن، م، س، ص. 494.

[3] سورة الملك، الآية 3

[4] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري ، مرجع سبق ذكره ، ص. 342.

وانفراده عن المثل والنظير والشبيه إلى غيرها من المعاني التي عرف الله تعالى بها ذاته للخلق."[1]

يفسر النورسي تلك الوحدة بصورة أعمق و يقول"اعلم أن مرايا وحدة الخالق وصحائف شواهدها متعددة متنوعة متداخلة متحدة المركز غير محدودة، فتنور (بضم الواو المشددة) واحد في النظر المتبصر يستلزم تنور الكل وبفتح واحد يمكن بالدخول فتح الكل، دون العكس، إذ انسداد واحد لاسيما الأدنى لا يستلزم انسداد الكل."[2] وتدفع هذه الصفة الإنسان إلى التأمل في آيات الله في الكون والإنسان وتتجلى هذا الصفة بالذات في الإيمان بالله الأحد الصمد.

يربط النورسي بين هذه الصفة و ارتباط فعل الإنسان "الواعي" بالطاقة الإلهية بفعل ذلك الترابط ويقول "يولد من النتائج العظيمة ما يفوق قوته الذاتية ألوف المرات معتمدا على سر ذلك الاستناد والانتساب. أما الذي لا يستند ولا ينتسب إلى صاحب تلك القوة العظمى ومالها "الفرد ألأحد" فسينجز من الأعمال ما تتحمله قوته الذاتية المحدودة جدا، وتنحسر نتائجها تبعا لذلك." [3]

إن كل شيء في الكون، وحيث أنه يأخذ توقيع أسماء الله الحسنى، فإنه يستمد قوته من تلك القدرة الإلهية العظيمة[4] وذلك ما يجعل مثلا الميكروب البسيط يدمر باغيا أثيما.[5] ويدخل في حظ المرسل من ذلك الإيمان[6] بخالقه سبحانه، كما أن أثر الممارس ونفوذه يتم بقدر استناده و انتسابه إلى الله جل وعلا.

---

[1] الشفيع الماحي، ص. 197.

[2] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، مرجع سبق ذكره ، ص. 320

[3] ن، م، س، ص. 488-489

[4] ن، م، س، ص. 489.

[5] ن، م، س، ص. 489

[6] ويرد في الأدبيات الأكاديمية الغربية أن "القيم الدينية" لا تأخذ بعين الاعتبار الإنسان "الملحد" مثلا ومن ثم تعين البحث عن عن "المقبول" عند هذا الأخير وإبعاد تلك المنظومة القيمية! ونجد الرد عند النورسي في تحليله بأن "سر سمو الإنسان بالإيمان

5. الحي (التجلي: العبادة)

يميز الشفيع أحمد بين "الحياة بالذات" أي لله و"الحياة بالإضافة" أي المؤقتة "فالحياة بالإضافة هي التي يلحق بها العدم والفناء، أما الحياة التي هي بالذات فهي الحياة التامة لا يعتريها فناء ولا يلحق بها عدم."[1] وقد ركز النورسي كثيرا على تجليات اسم الحي في الكون والحياة "فالحياة تجلي أعظم لاسم الله الحي المحيي"[2] و"هي أجمع مرآة تعكس الشؤون الإلهية للأنظار.."[3] وهي أعجوبة الخلقة الربانية إذ تجمع تجليات اسم "الرحمن، الرزاق، الرحيم، الكريم، الحكيم وأمثالها من الأسماء الحسنى.."[4] "وهي وسيلة ينور بها "الحي المحيي" سبحانه عالم الدنيا المظلم الفاني السافل و يمنحه نوعا من البقاء و يجعله بماكنة الحياة لطيفا مهيئا للمضي إلى العالم الباقي...."[5] ويعود سر تسمية الحياة كذلك أنها وإن كانت في تجليها المادي فانية فإنها في الجانب الروحي باقية، ويقول "إن غاية هذه الحياة ونتيجتها هي الحياة الأبدية."[6] ويضيف "إن الذين يحصرون غاية هذه الحياة في "عيش برفاه، وتمتع بغفلة، وتنعم بهوى" إنما يستخفون ... بهذه النعمة الغالية الكبرى، نعمة الحياة ... فيرتكبون كفرانا عظيما وإثما مبينا."[7]

وانحطاطه بالكفر، وذلك أن الإنسان بإيمانه إنما يرتبط بالله سبحانه وتعالى فيكتسب قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه. أما الكفر فيقطع تلك النسبة و ذلك الانتساب، و تغشى ظلمته الصنعة الربانية و تطمس على معالمها، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب." (الشفيع الماحي أحمد، ص. 500)

[1] الشفيع الماحي أحمد، ص. 202

[2] ن، م، س، 499.

[3] ن، م، س، ص. 500

[4] ن، م، س.

[5] ن، م، س، ص. 501

[6] ن، م، س.

[7] ن، م، س، ص. 502

إن من تجليات اسم الحي مشاهدة نور الحياة على الموجودات كافة،وذلك ما يكشف المقصد من تلك الحياة أي عبادة الخالق الواهب للحياة".إن خالق الكون سبحانه وتعالى إذ يعرف نفسه لذوي الحياة ويحببها إليها بنعمه التي لا تعد ولا تحصى يطلب منهم شكرهم... ومحبتهم وثناءهم واستحسانهم... وعبوديتهم تجاه أوامره الربانية. فيكون الشكر والعبادة أعظم غاية لجميع أنواع الحياة"[1] وبالقياس، فلو نظر الممارس الإعلامي إلى مهنته بوصفها جزء من العبادة لتغيرت نظرته إلى تلك المهنة من كل جانب.

6. القيوم (التجلي: ربط الأسباب بالمسبب)

يفسر النورسي اسم "القيوم" بكونه "قائم بذاته، باق بذاته وجميع الأشياء والموجودات قائمة به، تدوم به، تبقى في الوجود به، وتجد البقاء به. فلو انقطع هذا الانتساب للقيومية من الكون بأقل من طرفة عين يمحى الكون كله."[2]

يقدم النورسي نقدا بينا عن تلك النزعة المادية التي تفسر الطبيعة بالطبيعة فيذكر "أن قسما من أهل الضلالة الذين يطلق عليهم "الماديون" يشعرون بالتجلي الأعظم للخلاقية الإلهية والقدرة الربانية في تحولات الذرات المنتظمة ولكنهم يجهلون مصدر ذلك التجلي ويعجزون على أن يدركوا من أين تدار تلك القوة العاملة النابعة من تجلي القدرة الصمدانية.. فلأنهم يجهلون كل ذلك فقد شرعوا بإسناد آثار الألوهية إلى الذرات نفسها وإلى حركاتها عينها فتوهموا أزلية المادة والقوة،"[3] وتلك النظرة بمثابة درك سحيق من الجهالة والخرافة المحضة[4]

[1] ن، م، س، ص. 205

[2] بديع الزمان النورسي، اللمعات، مرجع سبق ذكره ، ص. 516

[3] ن، م، س، ص. 517

[4] ن، م، س

يقدم النورسي نظرة إيمانية وفلسفية عن سر زوال الموجودات بسرعة ويتساءل عن الحكمة في هذا العرض المنسق المزين الذي يختفي دون أثر ظاهري، فيقول "لقد كفتني هذه الحكمة طوال سنة..." وتبين لي في البداية "أن كل شيء – ولاسيما الأحياء – إنما هي كلمة إلهية ورسالة ربانية وقصيدة عصماء... فبعد أن يصبح ذلك الشيء موضع مطالعة جميع ذوي الشعور، ويفي بجميع معانيه لهم ويستنفذ أغراضه، تتلاشى صورته الجسدية ...تاركة معانيها في الوجود"[1]. هذا التفسير غير كاف في نظره إذ أن هذا الإتقان البديع "ليس لمجرد إفادة المعنى أمام أنظار ذوي الشعور" فنظرة هؤلاء محدودة وليس بإمكان كل ذي شعور النفوذ إلى المعاني الدقيقة الكاملة في هذه الموجودات. يضيف "....إن أهم نتيجة إذن في خلق الأحياء... عرض بدائع صنع القيوم الأزلي أمام نظره سبحانه.... وإبراز هدايا رحمته...أمام شهوده جل وعلا...".إن حكمة الخلق حينئذ تكمن في "مشاهدة القيوم الأزلي لبدائع خلقه بنفسه.. وهذه المشاهدة تستحق هذا البذل العميم وهذه الوفرة الهائلة في المخلوقات"[2] ثم يستطرد ويقول"....وبعد مضي مدة بدت الحكمتان السابقتان ناقصتين وقاصرتين عن الإيفاء بالغرض، وبدأت أتحرى حكمة أخرى بلهفة عارمة...." ثم " تراءت لي حكمة عظيمة ... من خلال فيض القرآن الكريم نبعت من سر القيومية....." ويقدم بعد ذلك إجابات شعاعية فلسفية متعددة و من ذلك أن "لا بد أنها (إشارة إلى الموجودات) تجدد الكائنات عامة وعلى الدوام بتجلياتها وتبدلها استنادا إلى ذلك العشق الإلهي المقدس، وبناء على سر القيومية الإلهية، وذلك لأجل إبراز لوحات لانهاية لها من شيء محدود وعرض شخوص لا حد لها من شخص واحد، وإظهار حقائق كثيرة جدا من

[1] ن، م، س، ص. 522

[2] ن، م، س، ص. 522.

حقيقة واحدة...."[1] وذلك أشبه ما يكون "بلوحة كتابة –كالسبورة – يكتب فيها باستمرار قلم القضاء والقدر كتاباته ويجددها و يبدلها بتجليات من "يحي و يميت"[2]

يري النورسي[3] كل هذه الدساتير المذكورة آنفا قاعدة أساسية عميقة راسخة جارية في الكون كله مثلما تجري في عالم الإنسان" ويدخل في تجليات ذلك أن ما نراه من أسباب الحياة إنما يعود إلى المسبب (القيوم)"، فتجلي اسم القيوم هو الذي تكفل بحفظها (إشارة إلى الحياة) ومراعاتها والاعتناء بها ما دامت أبدانها مغمورة بالحياة"[4]

وإذا أسقطنا هذا التجلي على الممارسة الإعلامية فإننا نجد أن الكثير من التحاليل الإعلامية (ومن ذلك الاستناد إلى ما أصبح يعرف بالخبراء) تتوقف عند ما سميناه بالمفاهيم "المقطوعة" دون ذكر المسبب (القيوم)، فلو أخذنا مسألة ما يسمى بالأزمة المالية "العالمية" فإن العديد من التحاليل تتوقف عند ذكر الأسباب الظاهرة ومن ذلك "المبالغة في الاستثمار"، "تغير السوق"، "شح السيولة"، "إفلاس الدائنين"...الخ. فأين الله سبحانه من هذا التفسيرات الظاهرة، خاصة وأن الآية الكريمة "يمحق الله الربا و يربي الصدقات"[5] بينة ووافية...

وفي مجال الممارسة الإعلامية بالذات ، فإن حظ المرسل من تجليات أسماء الله الحسنى متعددة، وقد أدرجنا في هذه الدراسة ستة أخلاقيات "موصولة" بالخالق سبحانه على النحو التالي:

1. الإيمان :

[1] ن، م، س، ص. 526

[2] ن، م، س، ص. 524

[3] ن، م، س

[4] الشفيع الماحي أحمد، مرجع سبق ذكره، ص. 207

[5] سورة البقرة، الآية 276

إن من صفات المرسل الإيمان (من اسم الله عز وجل المؤمن) وقد أبرز النورسي"أن أسمى غاية للخلق وأعظم نتيجة للفطرة: الإيمان بالله سبحانه وأعلى مرتبة للإنسانية وأفضل مقام للبشرية هو معرفة الله تعالى وأزهى سعادة للإنس والجن وأحلى نعمة هي محبة الله تعالى وأصفى سرور لروح الإنسان وأنقى بهجة لقلبه هو: اللذة الروحية"[1] واسم (المؤمن)[2] يتجلى في الإيمان بالله الذي يعد منبع القيمة ومثلما يذكر النورسي "أنه بالإيمان تزداد قيمة الإنسان إلى أن تصير الجنة ثمنه وتكون الخلافة رتبته ويطيق حمل الأمانة. إن الإيمان إكسير يقلب فحم المادة الفانية ألماسا مصنعا مرصعا باقيا بمعناه بنسبته إلى الصانع الباقي والإنسان بالكفر يعكس فينتكس."[3]

2. البحث عن الحقيقة:

إن من مهام المرسل (بكسر السين) البحث عن الحقيقة (من اسم الله تعالى الحق[4]) وهذه المهمة لا شك أنها نبيلة وشاقة (إذ يعرف أن الصحافة مهنة المتاعب) وقد ورد عن النورسي "إن الإنسان بسبب جوهره العالي و ماهيته المكرمة إنما يدور خلف الحق و الحقيقة..... وإنما يقع الباطل و الضلال بسب التغافل عن النظام الذي هو خيط الحكم" [5] وعندئذ فإن غايات الإنسان على حد قول النورسي،"فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في الفطرة، ومعرفة الله جل وعلا

[1] زياد الدغامين، ص. 27.

[2] قد جاء منسوبا إلى الله تبارك وتعالى في القرآن مرة واحدة في سورة الحشر في قوله تعالى (هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر)
سبحان الله عما يشركون)

[3] زياد الدغامين، ص. 36

[4] ووصف الحق لا يتحلى به أحد من الخلق إلا على سبيل الصفة المؤقتة

[5] الغزالي، أبو حامد، المقصد ، مرجع سبق ذكره ، ص. 28.

بتلك الأسماء الحسنى[1] "وإعلان ما ركب في الإنسان من الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها وبدائع صنعتها"[2]

3. الاتزان:

ذلك تجلي من اسم الله تعالى "العدل" على النحو الذي أورده النورسي. وحظ المرسل في ذلك استخدام ميزان الحق في موازنة الظواهر حتى عندما تكون متدافعة متناقضة بقدر الممكن. ويدخل في ذلك معاني فرعية متعددة كأن يكون وسطا بين طرفي الإفراط والتفريط و يحترز عن التهور الذي هو الإفراط والجبن الذي هو التفريط ويبقى على الوسط الذي هو الشجاعة... الخ. "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس."

4. الصدق:

إن من الأخلاقيات التي يتعين أن تنير الممارس الإعلامي "الصدق في القول والإخلاص في العمل." وقد ورد، نقلا عن البيهقي، أن اسم "الصادق" من أسماء الله الحسنى ويعني الذي "تطابق أفعاله أقواله، فقد خاطب الله تعالى عباده وأخبرهم بما يرضيه ويغضبه منهم، فصدقهم في ذلك ولم يغرهم أو يلبس عليهم."[3] ويقودنا "الصدق" أيضا إلى دراسة تجليات تلك الصفة "بوضوح" في فعل الرسول (ص) الذي يوصف "بالصادق الأمين،" وتلك قيمة أساسية في الفعل الإعلامي. إن غاية تلك الصفة (أي الصدق) ليس أمرا دنيويا أو رضا المؤسسة الإعلامية أو المتلقي ولكن غاية أبعد، أي مرضاة الله سبحانه. وقد بين النورسي في "خطبته الشامية" أن من عوالم انحطاط الأمة في الزمن المعاصر "غياب الصدق في العلاقات الاجتماعية."

[1] ن، م، س، ص. 28-29

[2] ن، م، س.

[3] د. أحمد مختار عمر، مرجع سبق ذكره ، ص. 61.

5. الاستقلالية :

ويدخل ذلك في معاني من اسم الله تعالى "الحكم" وفق رؤية النورسي وحظ المرسل في ذلك عدم الميل إلى سبل متفرقة من مثل الأيديولوجية أو الطائفية أو العشائرية وغيرها. ولا تعني الاستقلالية غياب الرؤية وإنما عدم الانسياق إلى "شيء" دون وعي ذاتي مستقل عن تلك المؤثرات الظرفية والمؤقتة.

6. المحاسبة:

وقد ورد من معني اسم الله تعالى "الحسيب" "الذي يحاسب عباده على أعمالهم."[1] وحظ المرسل في ذلك مراقبة النفس في القول والعمل والإحساس بالمسؤولية تجاه الآخر "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد..."[2] فمراقبة المرسل لما يكتبه أو يذيعه إذعان بتعبير النورسي لمراقبة الله تعالى، وذلك ما يختلف عن الصفة "المقطوعة" التي ترد في الأدبيات الأكاديمية الخاصة بأخلاقيات الإعلام،أي المحاسبية (accountability) حيث يدور النقاش حول من يحاسب من.[3]

المتمعن في آيات الله الحسنى المتعددة يجد من التجليات ما لا يعد ولا يحصى ومن ذلك ما يخص السلوك الإنساني، إن هذا المجال يفتح الباب واسعا تجاه دراسة "الأخلاقيات" في شتى المجالات،فاسم (السلام) يتجلي في الدعوة إلى السلام ويأتي في الدعاء: "اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام ، فحينا ربنا بالسلام."واسم (العزيز) يتجلى في تحلي الفرد المؤمن بالعزة ببركة الإيمان،وذلك ما تعكسه الآية الكريمة " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون." واسم (الغفار) يتجلى في الاستغفار وستر عيوب إخوانه وتجاوز أخطائهم واحترام خصوصيتهم. وجاء في الحديث

[1] ن، م، س، ص. 49

[2] سورة ق، الآية 18

[3] Andrew Belsey & Rut Chadwick, Ethical Issues in Journalism and the Media…

"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب" واسم (البر) يتجلى في أن تكون أعمال الإنسان برا[1] و يرد ذلك في قوله تعالى "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب... إلى أخر الآية."واسم "الجميل" يتجلى في عدة مظاهر ومن ذلك الإحسان إلى الناس[2] "وأحسن كما أحسن الله إليك."[3] ويرد هذا التجلي مع صفات أخرى من مثل الصبر الجميل أي "الصبر بلا شكاية" والصفح الجميل أي "الصفح بلا عتاب وكأن المخطئ لم يزل" والهجر الجميل أي "الهجر الذي لا مباينة فيه لحظ النفس وإنما لحق الله."[4] واسم"الحاسب"[5] يتجلى في محاسبة النفس وورد عن عمر بن الخطاب "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، إلى آخر الحديث."[6] واسما "الخافض الرافع" يتجليان في إدراك الإنسان أن "الخافض الحقيقي والرافع هو الله: يخفض النفوس و أهل الشقاوة و أهل الشهوة ويرفع القلوب وأهل الوفاق وأرباب المعاني و أهل الصفوة."[7]واسم "الخبير" يتجلى في أن يعلم الإنسان عن نفسه "ويتدبر أحواله ويطالع خفاياه وينأى أن يقارف الذنوب ويتقي الله ويتجمل بالصبر، ويحاذر تلبيس نفسه." [8]

يمكن قياس ذلك عل بقية أسماء الله الحسنى المعدودة وغير المعدودة والتي تناولها علماء العقيدة والتفسير بالشرح والتفصيل وبينوا حظ الإنسان من أسماء الله الحسنى

[1] د. عبد المنعم الحفني ، تجليات في أسماء الله الحسنى ، مرجع سبق ذكره ، ص. 82.

[2] ن، م، س، ص 99.

[3] سورة القصص، الآية 77.

[4] د. عبد المنعم، ص. 99.

[5] ورد أيضا، الحاسب، الحسيب، سريع الحساب، و أسرع الحاسبين.

[6] د. عبد المنعم الحفني ، مرجع سبق ذكره ، ص. 102.

[7] ن، م، س، ص. 143

[8] ن، م، س، ص. 154.

بحيث لا ترى صغيرة أو كبيرة في الكون أو الإنسان، إلا وتجدها تجل لاسم من أسماء الله الحسنى على ما ذهب إليه النورسي.

يستتبع ذلك أن حظ المرسل (الصحفي أو الداعية) من أسماء الله الحسنى واسع وعظيم يتجاوز تلك الأخلاقيات "المنقوصة" التي ترد مقتضبة في مواثيق الشرف الإعلامية. وقد أشار الغزالي إلى أن حظ العبد من ذلك[1] "أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله، عز وجل، لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقي الحق، وكل ما سواه فانه هالك وباطل إلا به.فيرى أولا نفسه أول هالك وباطل كما رآه رسول الله (ص) حيث قال: أصدق بيت قالته العرب قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[2]

نحو ربط أخلاقيات الإعلام بالسكة القيمية المتجددة

بينت الدراسة أن الرؤية النورسية الإبداعية في شأن تجليات أسماء الله الحسنى تعيد النظر بشكل "جذري" في ما يسمى بأخلاقيات الإعلام. وتفتح هذه الرؤية بابا واسعا في تأسيس أخلاقيات إعلامية تتناغم مع القيمة الموصولة بوصف المرسل (الصحفي أو الداعية) أداة في تجسيد تلك القيم أو تجلياتها، بتعبير النورسي، في الواقع المعايش. و يمكن أن تتجلى العديد من أسماء الله الحسنى في الممارسة الإعلامية، كما يمكن لاسم واحد من تلك الأسماء أن يتجلى بأشكال مختلفة في تلك الممارسة. وتدعو هذه الدراسة إلى ربط أخلاقيات الإعلام بالقيمة،أي جعل تلك الأخلاقيات تحمل السكة القيمية باستعارة مفردات النورسي. وقد أظهرت الدراسة أن الأخلاقيات

[1] إشارة إلى اسم "الله" سبحانه و تعالى.

[2] الغزلي، أبوحامد، المقصد...، ص. 62.

القائمة في مواثيق الشرف الإعلامية سواء أكانت من تركيب أصحاب المهنة أو ذات جذور ليبرالية أو غيرها مقطوعة في مستواها القيمي بدليل تذبذب دلالتها من سياق اجتماعي إلى آخر ومن وسيلة إلى أخرى بل ومن مرسل إلى آخر. وساهم ذلك الاهتزاز، وبالإضافة إلى عوامل أخرى، في عدم فعالية تلك الأخلاقيات في الواقع، رغم إيحائها "بالحيادية و العالمية" و بتعبير آخر، فإن تلك الأخلاقيات تفتقد إلى الطاقة الروحية (على طريقة مالك بن نبي) أو العناية الإلهية وجمال الوجدان (على نهج النورسي). وقد اكتفينا، بفعل حدود الدراسة، بعدد محدود من تجليات عدد من أسماء الله الحسنى في ما سميناه، مثلما نهجت بذلك كتب التراث، بحظ المرسل من تلك الأسماء. ويمكن للباحث الأكاديمي والممارس الإعلامي أن يستلهم تجليات قيمية من أسماء أخرى متعددة بحجم تعدد الحقائق الإعلامية في الواقع و أزيد "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها."[1]

لقد بينت الدراسة أن الأخلاقيات الإعلامية تكون دالة وفاعلة إذا كانت جزءا من تجليات عدد من أسماء الله الحسنى التي تعطيها المعنى والطاقة الداخلية التي تدفع الممارسة الإعلامية إلى الأرقى. فإحداث الصلة (الموصولة لا المقطوعة) بين المرسل ووظيفته بوصفه أداة تجسيد، أو تجلي في تعبير النورسي، صفات الله وآياته في المحيط الاجتماعي والتاريخي يمثل المنبع الأساس في أداء إعلامي حضاري متميز.وقد حصرنا تجليات عدد من أسماء الله الحسني ممثلة في الإيمان (من اسم الله تعالى المؤمن)،البحث عن الحقيقة (من اسم الحق) والاتزان (من اسم العدل)، والصدق (من اسم الصادق) والاستقلالية (من اسم الحكم) والمحاسبة (من اسمي الحسيب الرقيب). ويمكن إضافة أسماء أخرى بقدر حاجة المرسل إلى تلك الأنوار الصمدانية. وقد بينا بعض التجليات

[1] سورة النحل، الآية 18

فقط إذ كل اسم يتجلى بأشكال متعددة وفق حالة المرسل والموضوع والمتلقي فالحقيقة (من اسم الحق) واحدة ولكنها تتجلي بألوان متعددة.

إن كون هذه الدراسة الأولى من نوعها في ربط الرؤية النورسية بأخلاقيات الإعلام قد تثير بعض الجدل وحتى بعض الحيرة "المفهومة" ولكن ذلك في نظرنا يتبدد بمجرد أن يتم التأمل في وظيفة الإنسان بوصفه أداة تجسيد المعاني الكامنة في أسماء الخالق الحسنى وحمل أمانة تلك الرسالة في واقع الممارسة الإنسانية ومن ذلك الممارسة الإعلامية"وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون."[1]

أما خارج المنطقة، فإننا نعتبر أن هذه التجليات الأخلاقيات عالمية التوجه، ولو تمت معرفة تلك الأسماء بمعانيها الحقيقة لأدى ذلك إلى إضفاء "المحدودية" على تلك المعايير الإعلامية القليلة التي صاغها الإنسان بالممارسة أو التنظير العقلي الليبرالي فحسب.ومثلما ذكرنا فإن هذا النهج لا يقصي "الإيجابيات" التي تتضمنها تلك الأخلاقيات "التقليدية" وخاصة في بعض التفاصيل الجزئية التي تولدها الممارسة الإعلامية في عالم متغير ويتأثر بتطور تكنولوجيا الاتصال باستمرار.

إن دراستنا،وإن ركزت على رؤية النورسي،فإن الحديث عن أخلاقيات المرسل ليس بمعزل عن تلك الأخلاقيات المجسدة في سيرة الرسول (ص) "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وسائر الرسل والأنبياء والصحابة و التابعين وذلك موضوع من نوع آخر ومثلما نقرأ في أعمال النورسي، فإن بعض أسماء الله الحسنى تجسدت في الرسل والأنبياء، لكن مجمل أسماء الله الحسنى تجسدت أكثر في الرسول محمد (ص) ولعل ذلك من أسرار[2] كونه خاتم الأنبياء والمرسلين.

[1] سورة الذاريات، الآية 56

[2] اجتهادنا الخاص

إن الكتابات الخاصة بربط أخلاقيات الرسول (ص) بالمجال الإعلامي ليست بالكثيرة وتشكو من نزعة "العموميات" التي لا ترقى إلى الدراسة العملية المعرفية "الرفيعة" وذلك ما يفتح المجال من أجل دراسة أكثر دلالة و أعمق بالاستناد إلى الرؤية النورسية مثلا.

إن رؤية النورسي شمولية وإبداعه في مقاربة أسماء الله ذات شأن عظيم تجعله(أي النورسي) امتدادا أمينا بارزا لإسهامات الغزالي (أبو حامد) و بديع الزمان الهمذاني، وجلال الدين الرومي، الخ. وقد ساهمت ترجمة أعماله إلى اللغة العربية واللغات الأخرى، وكذا أعمال تلامذته وأتباعه وخاصة تلك المكتوبة بالإنجليزية من مثل فتح الله كولن[1] من نقل تراثه الفكري والمعرفي والأدبي الحضاري الخاص إلى السياق العربي والإسلامي و العالمي على نحو فريد في التاريخ الفكري الحضاري المعاصر.

[1] من أعماله:

M. Fethullah Gulen, Toward a Global Civilization of love and Tolerance, Light, New Jersey, 2005

M. Fethullah Gulen, Advocate of Dialogue, The Fountain, Fairfax, Virginia, 2000

المراجع

المراجع باللغة العربية:

1. إحسان قاسم الصالحي، "حالة وحدة المسلمين الراهنة و جهود النورسي العملية في إقامتها"، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي حول "وحدة الأمة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين: فرص وتحديات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1-2 أكتوبر 2003.

2. احمد مختار عمر، أسماء الله الحسنى: دراسة في البنية و الدلالة، عالم الكتب القاهرة، 1997

3. بديع الزمان النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، كليات رسائل النور، دار النيل للطباعة و النشر، القاهرة، 2009.

بديع الزمان النورسي، سيرة ذاتية: كليات رسائل النور، إعداد و ترجمة إحسان 4. قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة و النشر، استانبول، تركيا، 2008.

5. بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، استانبول، تركيا، 2007.

6. بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، كليات رسائل النور، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، استانبول، تركيا.

7. حسن الأمراني، النورسي أديب الإنسانية، دار النيل، استانبول، تركيا، .2005

8. حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر والدعوة، كتاب إلكرتوني، 1420.

9. د. عبد الرحمن عزي، "الحق في الإعلام و الاتصال و إبستمولوجية حرية التفكير وحرية التعبير،" في عدد من الباحثين، حق الاتصال و ارتباطه بمفهوم الحرية و الديمقراطية، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، تونس، 1994.

10. زياد الدغامين، "مظاهر تكريم الإنسان في البيان القرآني: قراءة في فكر النورسي،" دراسات، العدد 29، 2002.

11. الشفيع الماحي أحمد، "منهج النورسي في شرح أسماء الله الحسنى، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، العدد 46، 2001.

12. عبد الحليم عويس، رجل القرآن و صناعة الإنسان، ، دار النيل، استانبول، 2009.

13. عبد الرحمن عزي، الإعلام و تفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، الدار التونسية للنشر، 2009

14. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003، الطبعة الثانية 2009.

15ـ عبد الله الخطيب، " أثر رسائل النور في نشر العدالة الفردية و الاجتماعية،" دراسة غير منشورة، جامعة الشارقة، 2009

16. عبد المنعم الحفني،تجليات في أسماء الله الحسنى،مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

17. الغزالي، أبو حامد، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

18. مجموعة من الباحثين، قراءات في نظرية الحتمية القيمية الإعلامية، مؤسسة إقرأ، قسنطينة الجزائر، 2008

19. محمد سعيد رمضان البوطي،شخصيات استوقفتني،دارالفكر، دمشق، 2006.

المراجع باللغة الأجنبية:

1-Andrew Belsey & Rut Chadwick, Ethical Issues in Journalism and the Media…
2-Bediuzzaman Said Nursi, The Words: The Reconstruction of Islamic Belief and Thought, translated by Huseyin Alkarsu, Light, New Jersey, 2005.

3-David Gordon, "Ethics and Freedom: Media Accountability," in A. David Gordon & John Michael Kittross, Controversies in Media Ethics, Longman, New York, 1999.

4-Deni Elliot, "Universal Values and Moral Development Theories," in Clifford Christians and Michael Traber, Communication Ethics and Universal Values, SAGE Publication, London, 1997

5-M. Fethullah Gulen, Advocate of Dialogue, The Fountain, Fairfax, Virginia, 2000

6-M. Fethullah Gulen, Toward a Global Civilization of love and Tolerance, Light, New Jersey, 2005

7-Nigel G. E. Harris, Codes of Conduct for Journalists, in Andrew Belsey & Rut Chadwick, Ethical Issues in Journalism and the Media, Routledge, New York, 1998.